بيت الزكاة

إدارة العلاقات العامة والإعلام

محســــــــــــــــــنون من بلــــــــــــــدي

سلسلة تشمل السير العطرة للمحسنين الكويتيين

الجزء الخامس

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

تنـــــــويــه

١- هذا المجلد يضم أربعة أجزاء من سلسلة: "**محسنون من بلدي**" هي:
الأول: ويضم سير خمسة وعشرين محسناً وقد صدر عام ١٩٩٨م،
الثاني: ويضم سير أربعة عشر محسناً وقد صدر عام ٢٠٠٠م،
الثالث: ويضم سير عشـــرة محســـنين وقد صدر عام ٢٠٠١م،
الرابع: ويضم ســـير عشـــرة محســـنين وقد صـــدر عام ٢٠٠٢م.

٢- تم إعادة ترتيب أرقام الصفحات في هذا المجلد، وتم عمل فهرس جديد وفق ذلك التعديل.

٣- الأسماء الواردة في كل جزء من المجلد وردت وفق الترتيب الحروف الهجائية ولا يعني ذلك أنه ترتيب وفق معيار إحسانهم.

٤- الصور التاريخية التي حواها هذا المجلد تم تصويرها مما هو قائم حالياً، أو تم تزويدنا بها من ذوي المحسنين، أو تم نسخها من بعض المراجع التاريخية.

٥- يعتزم بيت الزكاة إعداد أجزاء لأخرى من سلسلة "محسنون من بلدي" بعون الله تعالى، وإدارة العلاقات العامة بالبيت يسرها أن تتلقى أي معلومات عن شخصيات جديدة وفق نموذج بيانات معد لذلك في نهاية هذا المجلد.

٦- تم اختيار المحسنين للنشر في هذا المجلد وفق المعايير التالية:

- وجود عناصر إحسان مادي واضحة للشخصية المراد الكتابة عنها، بالإضافة للعناصر الأخرى للخير والعطاء.
- وجود صور ووثائق ومستندات لأوجه الإحسان المذكورة.
- تعاون ذوي المحسن الكريم مع فريق البحث عن المعلومات.

٧- الأسبقية في توافر المعلومات تؤدي إلى أسبقية النشر بالأجزاء المتقدمة، ولا يعني ورود أسماء في الأجزاء المتأخرة أن أصحابها أقل إحساناً، والإحسان الحقيقي لا يعلمه إلا الله تعالى وهو العليم الخبير، ولا يتناقل البشر إلا ما بدا لهم من أعمال ظاهرة.

نسأل الله تعالى أن يجزي كل محسن بإحسانه، وأن يوفقنا دائماً إلى الخير.

هيئة التحرير

مقدمة

كتاب **محسنون من بلدي** لمسة وفاء للرعيل الأول من رجالات الكويت الذين سبقونا بالإيمان وأتموا إيمانهم بإحسان، إنهم أناس آمنوا بربهم فزادهم هدى، صفت نواياهم فصلحت معيشتهم، عملوا لما بعد الموت فطابت لهم الحياة، عمرت قلوبهم بالإيمان فعمروا مساجد الله تعالى.

كانوا يتنافسون في عمل الخير ويتسابقون إلى بذل المعروف، فمنهم من قضى حياته في سبيل الله تعالى باذلاً ماله للفقراء والمساكين وذوي القربى وابن السبيل، ومنهم من كان طوافاً بالليل والناس نيام يتصدق بصدقة يخفيها لا يريد من المخلوق جزاءً ولا شكوراً، ومنهم من كان لليتيم أهلاً وسنداً فأطعم وكسا وعلَّم.

هؤلاء **محسنون من بلدي** يقدمهم بيت الزكاة وفاء لهم وتذكرة بأعمالهم الخيّرة فإن الذكرى تنفع المؤمنين، رحمهم الله جميعاً وجعلنا خير خلف لهم، ووفقنا للاقتداء بهم.

وهذه الثلة الطيبة من شخصيات هذا المجلد هي نتاج أربعة أجزاء من السلسلة، ولم نذكر من إحسانهم – رحمهم الله – إلا ما عرفناه، وربما ما خفي كان أكبر وأعظم، لأننا لم نعتمد إلا ما استند إلى مصدر موثوق أو وثيقة مكتوبة في زمن ندر فيه التدوين. وأهل الإحسان والفضل أكثر من أن نحصيهم وبخاصة في أوقات المحن.

وقد حرص بيت الزكاة على أن يوثق المعلومات المستقاة من أحد أفراد أسرة كل شخصية محسنة ما أمكن، معتمداً بذلك على الثقة والموضوعية اللذين يتحلى بهما كل منهم، والبيت يستقبل بكل شكر وامتنان أي معلومات عن المحسنين من بلدنا الحبيب الكويت تمهيداً لتوثيقها في الإصدارات القادمة إن شاء الله. كما يستقبل البيت أي مقترح لتطوير الكتاب.

ويؤكد بيت الزكاة أن آل الصباح الكرام – حكام الكويت – كان لهم دورهم الخيري في الماضي والحاضر، وبما أنهم ولاة الأمر، فقد تم استثناء أسمائهم من شخصيات هذا الكتاب تقديراً لدورهم الذي لا يمكن الإحاطة به في صفحات معدودة.

ويتقدم بيت الزكاة بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم بجهده ووقته في إنجاز هذا الجزء من الكتاب، داعياً الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، ويسره أن يخص بالشكر والتقدير السيد:

د. عبدالمحسن عبدالله الخرافي العميد الأسبق لكلية التربية الأساسية في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، ومستشار

هيئة التحرير لإشرافه على تأليف وطباعة الكتاب من الناحيتين المنهجية والفنية، ومراجعته الكتاب في جميع مراحله من الناحيتين المذكورتين آنفاً.

كما يتقدم بيت الزكاة بالشكر والعرفان إلى ذوي المحسنين الذين لم يألوا جهداً بشأن تزويد البيت بالمعلومات اللازمة عن الشخصيات الواردة في الأجزاء الأربعة من سلسلة " محسنون من بلدي"، ويأمل أن تتيسر له

المعلومات المتعلقة بشخصيات كويتية أخرى لتكون أساساً للأجزاء القادمة من هذه السلسلة.

رحم الله المحسنين من هذا البلد الطيب وجزاهم وذريتهم خير الجزاء

بيت الزكاة

الكويت

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

بشر بن يوسف الرومي

(١٢٥٧-١٣٤٧هـ) (١٨٤١-١٩٠٩م)

المولد والنشأة:

هو بشر بن يوسف بن أحمد بن محمد بن صالح بن بشر بن محمد الرومي، ولد في محلة (فريج) الرومي بمنطقة الشرق في الكويت عام ١٢٥٧هـ الموافق عام ١٨٤١م.

ينتمي إلى أسرة عريقة، ينتهي نسبها إلى بطن الشملان ثم السلقا ثم الجبل ثم العمارات ثم البشر من قبيلة عنزة[١]، وقد ارتبطت هذه الأسرة ارتباطاً وثيقاً بالبحر، من خلال عملها في مهنة الغوص على اللؤلؤ الذي كان مصدر رزقها الرئيس.

وكانت أسرة الرومي قد نزحت مع أسرتي الصباح والخليفة، وأسر أخرى (فيما يسمى بالعتوب) من منطقة اليمامة بالمملكة العربية السعودية الشقيقة، حيث كانوا يسكنون في "الهدار" من منطقة الأفلاج في نجد، وكبير أسرة آل رومي هو محمد الدراج، لأنه كان يسحب على مدرج بعد إصابته بقلة مدفع، وكان قاضي الجماعة، وقد هاجرت تلك الأسر لأسباب فُصلت في كتب التاريخ[٢].

ومن تلك المنطقة خرجت أسرة الرومي مهاجرة إلى قطر مع الأسر التي ذكرناها آنفاً، فاستقرت في مدينة الزبارة التي تقع على ساحل قطر الغربي قرب البحرين، وكانت قطر آنذاك تحت سيادة بني خالد ويحكمها من قِبلِهِم آل مسلم[٣].

وبعد مدة غير معروفة خرجت من قطر، واستقرت مع أسرة الصباح وآل خليفة وعدد من الأسر الأخرى في "الصبية" بالجهة الشمالية الشرقية من الكويت، ثم غادروها إلى جزيرة فيلكا التي استقروا فيها مدة من الزمن، ثم غادروها إلى أرض الكويت بعد

---

(١) شجرة نسب قبيلة عنزة، التي تم التصديق عليها من الشيخ عروة بن هذال عام ١٨٩٣م.

(٢) من تاريخ الكويت - سيف مرزوق الشملان – الطبعة الثانية - ص ١٠٦.

(٣) المرجع السابق - ص ١٠٧.

الإذن من ابن عريعر، ويقال انه وهبهم الكوت[٤]، وكانوا مجموعة من العشائر والأسر استقرت في ذلك الكوت (الكويت) واختارت فيما بعد صباح الأول أميراً لها ما بين سنة ١١١٠ وسنة ١١٣٠هـ على وجه التقريب[٥].

أسرة الرومي .. مثال للبر والإحسان:

أسرة الرومي من الأسر الكويتية المعروفة، التي لها سابق أفضال حميدة وخصال مجيدة، فقد عاشت في الكويت وعاصرت جميع الأحداث التي مرت عليها منذ نشأتها، وتنوعت مجالات بذلها وعطائها فكان لها مواقف مشهودة في تاريخ البلاد، ومن ذلك:

- شارك أبناؤها بأرواحهم وأموالهم في المواقع والأحداث التي شهدتها الكويت، وأبلوا في ذلك بلاءً حسناً، وأظهروا شجاعة نادرة وقدموا تضحيات مجيدة، بذلوا فيها أرواحهم رخيصة في سبيل الدفاع عن بلادهم وعزتها وكرامتها، وحظي بعضهم بوسام الشهادة الذي هو أرفع وسام.

- قامت هذه الأسرة ببناء جزء من سور الكويت القريب من محلتهم، بأموالهم الخاصة، ولم يكتفوا بتحمل جهد البناء فحسب، بل تكفلوا بإطعام أهل المحلة الذين قاموا ببناء السور معهم.

- اتصفت أسرة الرومي بحسن الأخلاق، وطيب المعشر، وكانوا من أصحاب الدواوين الكويتية المعروفة، وخاصة دواوينهم بالشرق، سواء ديوان شملان الحالي أو ديوان بشر الرومي سابقاً.

- عناية أسرة الرومي الخاصة بالعلم وأهله، ويشهد لهم بذلك تبرعهم للمدرسة المباركية، وإنشاؤهم مدرسة السعادة، وزيارات العلماء المتكررة

---

(٤) المرجع السابق – ص ١٠٨ – ١٠٩.

(٥) صفحات من تاريخ الكويت – يوسف بن عيسى القناعي – الطبعة الخامسة – ص١٦.

لهم، وإقامتهم عندهم، ومنهم الشيخ عبدالعزيز العلجي، والشيخ عبدالرحمن (سلطان العلماء شيخ فارس)، وعبدالعزيز الثعالبي، ونجم الدين الهندي، والشيخ يوسف بن إبراهيم آل الشيخ مبارك.

أسرة الرومي .. ارتباط بالبحر ووفاء له:

وتمثل الارتباط الوثيق لهذه العائلة بالبحر في عدة مظاهر منها:

أولاً: امتلاكها أسطولاً كبيراً يضم شتى أنواع السفن الشراعية المستخدمة في الغوص على اللؤلؤ.

ثانياً: تميز عدد كبير من أبنائها العاملين في مجال "التنوخذ" (قيادة السفن)، حيث بلغ عدد نواخذة الغوص - الذين نعرفهم - من هذه العائلة أحد عشر نوخذة[٦].

ثالثاً: بروز عدد كبير من الطواشين (تجار اللؤلؤ - الطواويش) من هذه الأسرة، حيث بلغ عدد - الذين نعرفهم - منهم ستة عشر طواشاً.[٧]

رابعاً: انحصار إمارة الغوص – بعد وفاة ابن تمام ومن بعده ابن مهنا – في أسرة الرومي.

فقد تولى الإمارة يوسف بن أحمد الرومي، وبعد وفاته تولاها محمد بن بشر الرومي، ثم راشد بن أحمد الرومي آخر أمراء الغوص، الذي يُضرب به المثل في معرفته بالبحر وقيعانه ومجاريه، وظلت الإمارة في حوزته حتى انتهاء مهنة الغوص وكساد تجارة اللؤلؤ بعد اكتشاف اللؤلؤ الصناعي في اليابان.

ولم تتولَّ أسرة من أسر الكويت إمارة الغوص - بعد يوسف بن أحمد الرومي - سوى أسرته، ويؤكد ذلك التميز الشيخ يوسف بن عيسى القناعي[٨] بقوله: "وقُوَّاد

---

(١) تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي – سيف مرزوق الشملان.

(٢) المرجع السابق.

(٨) صفحات من تاريخ الكويت – الشيخ يوسف بن عيسى القناعي – الطبعة الخامسة - ص ٧١.

الغوص (أمراء الغوص) هم الذين بيدهم الحل والترحال والقفال[٩]، وأول قائد عُرف بالكويت هو ابن تمام، ثم بعده ابن مهنا، ثم أحمد بن يوسف الرومي، وبعده استمرت القيادة (إمارة الغوص) في هذا البيت إلى يومنا هذا"[١٠].

خامساً: تخليد الفولكلور الكويتي لثلاثة من أبرز رجالات صناعة الغوص على اللؤلؤ من عائلة الرومي ومن أشهر الطواويش في الكويت، وهم المرحوم راشد بن أحمد الرومي – آخر أمير للغوص، والمرحوم حسين بن علي آل سيف الرومي، والمرحوم شملان بن علي آل سيف الرومي، إذ تقول الأهزوجة الكويتية في بعض أبياتها: "يا اللومي ... هات بن رومي ... يا اليوهرة (أي الجوهرة) ... يبي (أي احضري) حسين من بحره ... ياالدانة (أي اللؤلؤة) ... جري شملان من أذانه".[١١]

رحلته مع العلم

كان الكُتَّاب هو المحطة الأولى التي تزود منها الشاب بشر الرومي بخير زاد، فتعلم بين أروقته تلاوة القرآن الكريم، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة، وكان ذلك هو الحد الأدنى من التعليم آنذاك. وما كان هذا ليرضي طموح بشر الوثاب، وتعطشه لطلب العلم النافع ومجالسة العلماء، فاتصل ببعضهم واقترب منهم، وتزود مما عندهم من العلم.

زواجه:

---

(٩) القفال: هو انتهاء موسم الغوص وعودة جميع سفنه، يقال: قفِل راجعاً، أي عاد أدراجه، وتنطق القاف جيماً مصرية.

(١٠) طبع كتاب "صفحات من تاريخ الكويت" للشيخ يوسف بن عيسى القناعي عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م)، أي بعد اندثار حرفة الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج.

(١) انظر: الأهزوجة الشعبية التي أوردت أسماء هؤلاء الثلاثة وغيرهم من رجال الغوص على اللؤلؤ في الكويت في كتاب تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي – سيف مرزوق الشملان.

تزوج المحسن بشر الرومي من نفس أسرته وهي بنت علي بن سيف الرومي، ولحرصه – رحمه الله - على أن يكون بينه وبين أهل العلم نسب، تزوج من السيدة منيرة إبراهيم الغانم حفيدة العالم الجليل السيد عبدالجليل الطبطبائى[١٢]، متمنياً من الله أن يرزقه الذرية الصالحة التي تقر بها عينه وتسعد بها نفسه، وقد حقق الله له ما تمنى ورزقه ذرية طيبة مباركة.

مظاهر حب المحسن بشر الرومي للعلم وأهله:

- صداقته الحميمة للشيخ أحمد بن محمد الفارسي - شيخ الكويت آنذاك - فكانت بينهما روابط حميمة وتزاور وتشاور وتواصل، ولفرط حبه له اشترى مزرعة في قرية الفنطاس – بالقرب من مزرعة الشيخ الفارسي – ليسكنها في فصل الربيع، ويتعلم من صديقه العالم الجليل.

- نزول الكثير من العلماء - الذين كانوا يزورون الكويت بكثرة في ذلك الوقت - ضيوفاً عليه وعلى أسرته الكريمة، ومنهم: الشيخ عبدالرحمن (سلطان العلماء وشيخ فارس في وقته)، والشيخ العلامة عبدالعزيز بن صالح العلجي، الذي كان يزور الكويت مرة كل عام.

- حرص بشر الرومي على تلقي العلم من ذلك الأخير، ولم يشأ أن تقتصر الاستفادة من هذا الشيخ العلامة عليه هو فحَسب، بل حرص على تعليم بعض أولاده وأبناء عائلته الفقه علَى مذهب الإمام مالك - رحمه الله - على يدي الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي.

- بادل الشيخ العلجي بشر الرومي وعائلته حباً بحب ووفاءً بوفاء لما لمسه فيهم من صفات حميدة تنم عن حسن الخلق، فقد بلغ حب الشيخ العلجي لبشر وأبنائه وآل بيته

(°) وهي ابنة ابنته صالحة السيد عبدالجليل الطبطبائي.

درجة كبيرة، حتى إنه انقطع عن زيارة الكويت بعد موت صديقه بشر - رحمه الله.[١٣]

- حرصه على مجالسة العلماء الأفاضل وزيارتهم في دواوينهم، ومنها ديوان الملا حسين التركيت، الذي كان يواظب على حضور مجلسه عصر كل يوم جمعة، إذ يقول الباحث عدنان سالم الرومي في كتابه "علماء الكويت وأعلامها": "كان يحضر في هذا المجلس عدد لا بأس به من طلبة العلم الشرعي وشيوخه، ومنهم: الشيخ عبدالله الخلف، والشيخ سيد يعقوب سيد عبدالوهاب، والحاج سليمان الحداد، والشيخ يوسف بن حمود، والشيخ البصير:[١٤] محمد بن جنيدل، والشيخ عبدالله بن خالد العدساني، والشيخ عبدالعزيز حمادة، والشيخ مساعد العازمي، والشيخ عطية الأثري، والشيخ أحمد الفارسي، والوجيه بشر بن يوسف الرومي. ولم يكن أحد من عامة الناس يحضر هذا المجلس، لعلمهم أن عصر ذلك اليوم مخصص لهؤلاء الرجال الذين كانت تطلق عليهم العامة اسم (المطاوعة)، وكان سليمان الحداد يختم مجلسهم – عادة – بقصيدة من محفوظاته، وكان ذا صوت شجي جميل يأخذ بألباب الحاضرين والمارة"[١٥].

زهده:

كثيراً ما تغر الدنيا أهلها، مع أن الله تعالى حذر عباده منها، وضرب الكثير من الأمثال في كتابه العزيز لتبيان حقيقتها، قال تعالى: "اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ

([13]) هذا ما ذكره الشيخ الأديب أحمد بن علي آل الشيخ مبارك للباحث عدنان بن سالم الرومي في مقابلة مسجلة على شريط كاسيت.

([١٤]) كان العلماء يطلقون على الضرير لقب "البصير" تلطفاً به ورفعاً لمعنوياته بأنه مبصر ببصيرته رغم فقدانه نعمة البصر.

([١٥]) هذا ما ذكره ابنه الأستاذ: محمد ملا حسين التركيت، انظر كتاب علماء الكويت وأعلامها - عدنان سالم الرومي - ص ٤٠٣ - مكتبة المنار - الكويت ١٩٩٩م.

وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)" سورة الحديد .

وقد كان المحسن بشر الرومي - رحمه الله - زاهداً في الدنيا وزخرفها وزينتها، حتى إنه ابتعد عن مهنة الغوص ومشاغلها ومشاكلها، وترك الأمر لله ثم لأولاده وأولاد أخيه، وتفرغ لأمور الآخرة، وقد لاحظ عامة الناس هذا السلوك واضحاً عليه، فنطقت أهازيجهم بمدحه، وطربت ألسنتهم بالثناء عليه، ومما قالوا فيه:

بشر ما فيه عذاريب كل العرب عارفينه
بشر عباد المسجد أبو صلاة طويلة[١٦]

وقد لازمته صفة الزهد هذه طوال حياته، فكان كالشجرة الخضراء الوارفة الظلال التي تنشر ظلها على من حولها، وقد مدح الشاعر صقر الشبيب فيه هذه الصفة بقوله:

فأنفقتـــها تسعـــين عامـــاً كأنـــها لغرسك فيها الصالحات حقولُ
وكل امرئ يسعى إلى ذاك لو غدا له جامع الأخلاق وهو ذلـــولُ
غرست جميلاً فاجتنـــيت ثمـــاره محامد ممـــن قال أو سيـــقولُ

سلامة فطرته:

كان – رحمه الله – حريصاً على الإحسان إلى الناس وعدم الإساءة إليهم أو إيذائهم، ولم يكن - رحمه الله - يتجنب أذى الناس تكلفاً ولا تصنعاً، وإنما كان ذلك منطلقاً من فطرة سليمة نقية، ونفس طيبة رضية، أملت عليه حب النفع للناس والبعد عن الأذى وبُغض من يفعله، وقد وصف ذلك الشاعر صقر الشبيب في القصيدة ذاتها بقوله:

---

(١) من ديوان صقر الشبيب (٣٧٢).

كما كنت مطبوعاً على تركِكَ الأذى وبُغضِكَ من يمشي بهِ ويصولُ
فَرُحــتَ ولمْ يَرْهــبْ أذَاكَ مُجــاورٌ وما بِكَ عَنهُ لو أردتَ نُكــُولُ
ولكِنــه مــا زالَ طبعُــكَ آبيــاً سِوى ما بــه مِنَّا يُسَرُّ نَزيــلُ[١٧]

أوجه الإحسان في حياته:

كان لنشأة المحسن بشر الرومي – رحمه الله - في بيئة كريمة، لها أيادٍ بيضاء في وجوه الخير كافة، أكبر الأثر في تعدد أوجه الإحسان لديه، وليس من الإنصاف أن نشرع في الحديث عن أوجه الإحسان في حياة ابنهم المحسن بشر الرومي قبل أن نعرّج على جانب من سيرتهم العطرة، ومنهم:

عبدالرحمن بن يوسف الرومي:

له إسهامات كبيرة في نجدة الدولة ونصرتها، حيث تكفل بتجهيز جزء من الجيش الكويتي من ماله الخاص، وكانت له أيادٍ بيضاء في مواسم الحج، بما كان يقدمه من ولائم لحجاج بيت الله الحرام الذين يصاحبونه في رحلة الحج إلى الديار المقدسة[١٨].

النوخذة عبدالله بن أحمد بن يوسف الرومي:

وعرف في زمانه بلقب "عبدالله باشا"، وكان له فضل كبير في إعادة البحارة الكويتيين الذين سافروا عام ١٨٨٩م إلى جزيرة سيلان للغوص على اللؤلؤ وتقطعت بهم السبل بعد فشل رحلتهم، ولم يجدوا المال الكافي للعودة إلى وطنهم، فتحمل "عبدالله باشا" تكاليف عودتهم من ماله الخاص[١٩].

السيد صالح بن حمد الرومي:

---

(١٧) المرجع السابق.

(١٨) المصدر: ابنه يوسف بن عبدالرحمن الرومي.

(١٩) المصدر: سالم محمد الرومي.

وقد اشتهر عن هذا الرجل أنه تبرع بأرضه التي كانت تقع في منطقة الشرق لبناء مقبرتين لدفن الموتى، بل كان يجهز لهم الكفن والطيب والكافور من ماله الخاص.

المحسن حسين بن علي آل سيف الرومي:

وهذا الرجل لا يزال ذكر كرمه وجوده يُتداول حتى وقتنا هذا بين أهل الكويت من بدو وحضر، وقد اشتهر بلقب "إمْعَشِّي العوسج"[٢٠]مما يدل على جوده وكرمه.

شملان بن علي آل سيف الرومي:

الذي ساهم في بناء المدرسة المباركة، وأنشأ مدرسة السعادة للأيتام، وشارك بمجهود وافر في إنشاء مسجد المطبة[٢١]. كما ساهم بثلث ولده "علي" - الذي استشهد في حرب الجهراء - في تأسيس مسجد علي الشملان، الواقع في دوار شارع عبدالله المبارك في المرقاب[٢٢].

وإلى جانب ذلك كله، فقد كان لأهل الإحسان من آل الرومي، حبس[٢٣] على ساحل البحر يعرف بحبس الرومي، وهو عبارة عن مرساة من الحجارة تكون داخل البحر، يستعملها أهل المحلة في أعمالهم البحرية وغيرها[٢٤].

في هذه البيئة الصالحة ووسط هؤلاء المحسنين الكرام رحمهم الله جميعاً، نشأ المحسن بشر الرومي، الذي تعددت أوجه إحسانه، وامتدت كشجرة مباركة، يتفيأ الكثيرون ظلها، ويطعمون من خيرها.

---

(٢٠) لمعرفة المزيد من أوجه إحسانه وسبب إطلاق هذا اللقب عليه، انظر الجزء الثالث من سلسلة "محسنون من بلدي" ص٢٣ وما بعدها.

(٢١) لمعرفة المزيد من أوجه إحسانه، انظر الجزء الأول من سلسلة "محسنون من بلدي" – الجزء الأول – ص ٤٧ وما بعدها.

(٢٢) تاريخ مساجد الكويت القديمة – عدنان سالم الرومي – الكويت ٢٠٠٣م.

(٢٣) الحِبْس (بكسر الحاء وتسكين الباء) هو ما يحبس، وهو هنا مخصص لاستعمال الناس بلا مقابل كمرسى لسفنهم سواء للصيانة الدورية، أو لانتظار رحلات جديدة.

(٢٤) تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج - الجزء الأول – ص ٢٣٥- ٢٣٦.

عمارة المساجد:

أراد المحسن بشر الرومي – رحمه الله - أن يبني بيتاً لله تعالى في الأرض، يكون ذخراً له عند الباري عز وجل، وسبيلاً إلى دخول جناته ونيل مرضاته في الآخرة، قال تعالى: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ" (التوبة ١٨). وقد وفقه الله تعالى إلى نيل هذا الشرف العظيم، ليس ببناء مسجد واحد بل مسجدين:

مسجد الرومي:

كان المحسن بشر الرومي - رحمه الله - يمتلك "ياخوراً"[٢٥] مع أسرته في محلة المطبة، وهو جزء من أرضهم - المقامة عليها الآن أبراج العوضي - في منطقة الشرق، ونظراً لحرص بشر على أداء الصلوات جماعة، شرع يفكر مع أسرته في تأسيس مسجد قريب من "ياخورهم" - حيث لم تكن هناك مساجد في تلك المنطقة آنذاك - ولم يطل تفكيرهم، إذ سرعان ما خصصوا قطعة أرض من جهة الغرب من "الياخور" ليبنى عليها مسجد لله تعالى، متحملاً أيضاً نفقات البناء والتجهيز، مبتغياً من هذا العمل الثواب الذي وعدنا به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله: "مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ أَوْسَعُ مِنْهُ فِي الْجَنَّةِ" أخرجه أحمد في مسنده.

وسرعان ما علا البناء وصدح صوت المؤذن بالنداء من فوق مئذنة مسجد الرومي الذي يقع في منطقة الشرق على شارع دسمان (شارع أحمد الجابر حالياً)، مقابل ياخور حسين بن علي بن سيف الرومي قريباً من أبراج العوضي وذلك في عام

---

(٢٥) الياخور: هو المزرعة الكبيرة التي كانت تستخدم في القدم لتربية الخيول وحفظها، ثم تطور مفهوم استخدامها إلى تربية الأغنام والماشية والدواجن وشيء من الزراعة أحياناً.

١٣٣٩ هـ (١٩٢٠م)،[٢٦] وقد امتدح الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي صديقه بشر وأسرته لقيامهم بهذا العمل الجليل قائلاً:

إن هذا مسجد منشرح حيث بانـــوه كرام صلحوا
فخذوا تاريخه غُرٌّ بداً (آل بشر بالتقى هم ربحوا)[٢٧]

وقد بُني المسجد في أول الأمر من الطين وكُسي بالجبس، وكانت مساحة الخلوة المصلى فيها صغيرة لا تسع سوى ثلاثة صفوف. وأما "الليوان" فكان يسع صفين آخرين.

ويمتاز مسجد بشر الرومي بكثرة نوافذه وطولها مما يجعل الضوء والتهوية الصحية فيه متوافرين دائماً، وللمسجد بابان أحدهما يطل على شارع أحمد الجابر، والآخر على الناحية الشرقية.

وقد قامت دائرة الأوقاف العامة بتجديده عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢)[٢٨]، كما قام المحسن الحاج عبدالله بن ناصر البناي بإنشاء منارته الحالية، والتي اقتبس منها مهندسو أبراج العوضي - القريبة من المسجد – شكل أقواس البناية فازدانت الأبراج بها[٢٩].

ومن فضل الله تعالى أن هناك أكثر من وقف على هذا المسجد، والمعروف منها حالياً اثنان فقط هما:

---

(٢٦) تاريخ مساجد الكويت القديمة – عدنان سالم الرومي – الكويت ٢٠٠٢م.

(٣) هذه طريقة العلماء القدامى في توثيق التواريخ بالتعبير عنها بكلمات أو أبيات يكون مجموع الأرقام المقابلة لحروفها هو التاريخ المطلوب، بالاستعانة بالترقيم الذي كان يستخدمه العلماء المسلمون والعرب مقابل الحروف الأبجدية.

(٢٨) القبس، العدد ٣٥٩٣، الصادر بتاريخ ١٩٨٢/٥/١٤.

(٢٩) في مقابلة سجلت معه على شريط كاسيت.

١ - وقف خالد بن فايز الخميس: وهو عباره عن بيت للإمام في فريج حسين بن علي الرومي، مع بيت آخر بجواره للمؤذن.

٢ - وقف آمنة بنت علي: وهو عباره عن بيت في محلة المطبة، أوقفته على مصالح المسجد، من بناء وحصر وزيت ودلو وغيرها، مما يحتاجه المسجد، بعد أن تقام مصالح البيت الموقوف من بناء وغيره، مما تستدام به غلته.

المواصفات العامة للمسجد:

- المساحة الكلية للمسجد ٧٠٠ متراً مربعاً.
- يتسع المسجد لعدد ٤٠٠ مصلٍّ.
- ارتفاع المئذنة ١٨ متراً .
- بني المسجد على الطراز العادي القديم.

مسجد بالأحساء:

رغب المحسن بشر الرومي - رحمه الله - في الإستزادة من الخير والثواب، فأسس مسجداً آخراً في الصالحية بمنطقة الأحساء بالمملكة العربية السعودية الشقيقة، بعد أن أشار عليه بذلك صديقه الحميم الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي – من علماء الأحساء آنذاك – الذي سعى في بناء مسجد في تلك المنطقة، وطلب من آل الرومي التبرع لهذا المشروع الخيري النبيل، فكان بشر أول المساهمين فيه.

عطفه على الفقراء:

اعتنى الإسلام بالفقراء عناية بالغة، وأوصى بهم في مواضع عدة من القرآن الكريم، وجعلهم من مستحقي الزكاة في قوله تعالى: " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)" سورة التوبة.

ولذلك كان – رحمه الله - عطوفاً على الفقراء والمساكين شفوقاً بهم، فكان ديوانه مفتوحاً لهم طول اليوم لتقديم الطعام والشراب، وكان يمتلئ بهؤلاء الفقراء والمساكين، حتى إن الكيس الكبير من الأرز لم يكن يكفي سوى يومين.

أما أهل بيته - الذين تعلموا منه حب الخير - فكانوا يعدون الطعام ويوزعونه على الفقراء في بيوتهم، عملاً بقول الحق جل وعلا "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا(٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا (٩) سورة الإنسان.

وكان - رحمه الله - يحث أهله ويشجعهم على الإكثار من هذا العمل الطيب، فكانوا ينفقون الأموال ويقدمون الطعام ويفعلون الخير، ندية نفوسهم، راضية قلوبهم، مبسوطة أيديهم، بغير منٍّ ولا أذى ولا تفاخر، وقد سجل الشاعر صقر الشبيب ذلك العمل الجليل فقال:

فكـــم من ضعـــيف نلـــته بمـــعونة ... وأسعدته والمسعدون قليلُ
وكـــم عاثر مـــنا أقلـــــت عـــثاره ... وقد عز ما بين الأنام مقيلُ
وكـــم نال مـــنا السائلـــون رغائـــباً ... على حين عز السائلين منيلُ
طبعت على حسن اصطناعك كل ما ... إلى خير نفع للضعيف يؤولُ
فكنت كثـــير النفـــع فـــينا عميـــمه ... إذا اختص بالنفع الخليل خليلُ[٣٠]

إكرامه لجيرانه:

ليس من المستغرب أن يحسن بشر الرومي معاملة جيرانه، وهو الذي قرأ كتاب الله صغيراً، وتشرب من تعاليمه، فكان يغمرهم بفيض بِره وكرمه، ويشملهم بحسن المعاملة وطيب المعشر وحلاوة اللسان، الذي هو من علامات الإيمان وطريق إلى حب

(٣٠) ديوان صقر (٣٧١).

الرحمن، متأسياً بوصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأبى ذر - رضي الله - عنه بقوله: "يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ"[٣١] متفق عليه.

وقد انعكس ذلك على أخلاق المحسن بشر الرومي – رحمه الله - الذي شهد له كل من جاوره وعائلته بما سبق من صفات الجود والكرم، وحسن المعاملة وسمو الأخلاق، وقد عبر الشاعر صقر الشبيب عن هذا الإحساس قائلاً:

فكنتَ وحظُّ الجـــارِ ممـــا يحبُّـــه ... لديك كما يقضي الجوارُ جزيلُ

وكنت على أمـــنٍ لجَـــارك دائمـــاً ... من البادرات المورديات حصولُ

إذا ما استمال الجـــار كيـــد جـــاره ... ففيك عن الكيدِ الذميمِ عـــدولُ

وما كنَت - لو شئت المكيدةَ - عاجزاً ... ولا كان عنها في شباك فلول[٣٢]

ولـــكن أبـــيت إلا الوفاءَ وحســـــنَه ... عليـــك ســـجايا كـــلهن جميلُ[٣٣]

الإصلاح وحسن المشورة:

كان المحسن بشر الرومي محباً للإصلاح بين الناس، باذلاً للنصيحة، عاملاً بالحديث الذي رواه أبو رقية تميم بن أوس الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" رواه مسلم.

وقد سجل - رحمه الله - مواقف مشرفة عديدة تدل على ترسخ هذه الصفة فيه، ولعل أبرزها دوره فى إنهاء أزمة هجرة تجار اللؤلؤ[٣٤] وذلك عندما نصح الشيخ مبارك

---

(١) تعاهد جيرانك: أي أعطهم منها.

(٣٢) فلول: الثلمة في حد السيف.

(٣٣) من ديوان صقر (٣٧٢).

(٤) هجر الكويت كبار تجار اللؤلؤ ورجالهم وأتباعهم أمثال شملان بن علي آل سيف وإبراهيم المضف وهلال بن فجحان المطيري إلى البحرين وجزيرة (جنة) في (القطيف)، وذلك لسوء تفاهم مع الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت آنذاك، ولمزيد من المعلومات انظر كتاب تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي - ج ٢ – سيف مرزوق الشملان – ص ٦٧.

الصباح بأن يرسل ابنه (الشيخ سالم) برسالة فيها الأمان والعفو والصفح عما حدث، ليرجعوا إلى بلادهم سالمين مكرمين.

فاستجاب الشيخ مبارك لنصيحته المخلصة، وأرسل ابنه (الشيخ سالم) مع الوجيه فارس الوقيان، فأبلغهم الرسالة وتم الصلح بحمد الله تعالى.

ويدل هذا على ذكاء بشر وفطنته وقدرته على احتواء المشكلات قبل تفاقمها، قال تعالى: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ (٢٦٩)" سورة البقرة.

وقد مدح الشاعر صقر الشبيب موقفه هذا في قوله مخاطباً بشر الرومي:

وكم لضعيف شهب حق أبنتها ولولاك لم يبرح بهن أفول[٣٥]

نظارة الوقف الخيري:

كان المحسن بشر الرومي محلاً لثقة الناس وحبهم، لتحليه بالأخلاق الأصيلة والصفات الحميدة، وقد تعددت صور هذه الثقة فيه، ومن ذلك أن الواقف السيد علي بن حسين بن علي السليمان اختاره وصياً على أراضيه التي أوقفها على الفقراء والمساكين، المسماة "بالحربية" والواقعة في محلة "بريهة" في منطقة العشار أحد مضافات البصرة، وقد ظل بشر وصياً عليها إلى وفاته.

وقبل أن يلقى وجه ربه الكريم وكَلَّ أبناءه أوصياء نيابة عنه، فظلوا أوصياء عليها من بعده إلى أن ذهبت هذه الأرض. يقول السيد عدنان بن سالم الرومي: "أن هذا

([٣٥]) ديوان صقر، ٣٧١.

العمل يدل على ثقة الناس به وحبهم له، وقد يكون بشر مساهماً مع الوصي ولكننا لا نملك دليلاً على ذلك".

وفاته:

بعد عمر طويل قارب التسعين سنة قمرية، قضاها المحسن الكريم بشر الرومي – رحمه الله - زاهداً في الدنيا، باذلاً الكثير من ماله في أوجه الخير والإحسان، انتقل إلى رحمة الله تعالى ورضوانه في غرة جمادى الأولى عام ١٣٤٧هـ، الموافق ١٩٢٨/١١/١٤م، ودفن في الجهة الشمالية من مقبرة هلال المطيري بمنطقة الشرق.

رحمه الله رحمة واسعة، وجعل أعماله في ميزان حسناته، وأسكنه فسيح جناته.

قالوا عنه:

كان بشر الرومي - رحمه الله - حفياً كريماً بالكثير من أهل بلده وكان منهم الشاعر الضرير صقر الشبيب الذي نشأ بين عائلته، فأسبغ عليه من عطفه وكرمه، وسار على هذا النهج أولاده من بعده، لذلك جاء رثاء صقر الشبيب لبشر الرومي - رحمه الله - كرثاء الابن لأبيه، لا يوازيه في حرارته وفيض مشاعره إلا رثاؤه للشيخ العلامة عبدالله الخلف الدحيان.

يقول شاعر الكويت صقر الشبيب في مرثيته الرائعة للمرحوم بشر الرومي[٣٦]:

عَلَيْكَ لِشَرْقِيِّ الكُوَيْتِ يَطُولُ ... بُكَاءٌ وإِنْ لَمْ يُجْدِهِ وعَوِيلُ[٣٧]

وَأَنَّى لشرقي الكويت تجلدٌ ... وقد جدَّ منك اليومَ عنه رحيلُ

تجلُّدنا لمّا فقدناك سدَّ ما ... له من سبيل لاعِجٌ وغليلُ

---

(٣٦) نظراً لطول القصيدة فقد تجاوزنا عن الأبيات التي تم الاستشهاد بها آنفاً خلال السيرة الكريمة للمحسن بشر الرومي، وللاطلاع عليها كاملة يمكن الرجوع إلى ديوان الشاعر صقر الشبيب المشار إليه بالهامش رقم (٢).

(٣٧) ديوان صقر الشبيب: شاعر الكويت – جمعه وقدم له الأستاذ أحمد البشر الرومي – ص ٣٧١ – مكتبة الأمل.

فليــس إلى حُســن التجــلد لِلألى ... صَرَمتُهُم يا بشــرُ عنكَ ســبيلُ
عليك أذلْنا الدمعَ[٣٨] من بعــد صوته ... فأصبح بعد العــزِّ وهو ذلــيلُ
وغــيرُ كــثيرٍ إن غدونا وكُلُّــنا ... لمَا صانَ من دمع علــيك مُذيلُ
فإنــك ظــل – والحــياة هواجر ... تَفَــيأهُ ضــاحي العُفاةِ - ظليلُ[٣٩]
إذا راح عــنه أو إليهِ من الورَى ... سِــوَاكَ كــما يقضي هواهُ يميلُ
فأنتَ علــيهِ قدْ وجدنــاكَ عاكِــفاً ... وعَنــهُ لشيءٍ لمْ نَجِدكَ
تحــولُ[٤٠]
وفَضلُ حَياةِ المرءِ ما كانَ نافِــعاً ... ومَحَيا الأُلَى لا ينفعون فُضولُ[٤١]
وَكُلُّ على حُكــمِ السَّجــيِّةِ كائــنُ ... لهُ حسبَ ما منه اقتضَتهُ نزولُ
ولكــن أبتّ إلا الوفاءَ وحُســنَهُ ... عليــكَ سَــجايــا كُلُّهنَّ جمــيلُ
فَرُحْــتَ وكلٌّ بينَ فكــيهِ مِقــولٌ ... عليكَ كما شــاء الثــناءُ يجــولُ
قَطَعت من المحيا الطويل طريقَــه ... وأنت لمقطــوعِ الجمــيلِ وَصولُ
وآيــةُ حــــُبِّ اللهِ للمــرء تركــهُ ... له وَعْر طُرق العرفِ وهو سهولُ
ومِثلك في الدنــيا الثناءُ نصــــيبهُ ... يــردده فَــــرْدٌ بــها وقــــبيلُ
وفي داره الأخرى لــدى الله حَظُّهُ ... ثوابٌ إلــيه يطمــــئنُ جلــــيلُ
وإنَّ اجتماعَ الحمدِ والأجر لامــرئ ... لَحظٌ لأعــــناق الحــظوظِ مميلُ
وهل راقَ إلا ذَــيْن شيءُ ينالُــــهُ ... فتى رأيُهُ فيــــما يراه أصــــيلُ
فَقَرَّ وطِبْ عيــناً ونفــساً فكلُّ مــا ... حصلتَ علــيه اليومَ لــيس يزولُ
أسالَ غزير الدمع فَقْدُ ابن يوســفٍ ... وللدمــعِ فقــدانُ الــكرِيم يســيلُ

---

(٣٨) أذال الدمع: سكنه.

(٣٩) العفاة: طالبوا المعروف.

(٤٠) تحول: تتحول وتتنقل.

(٤١) فضول: زيادة

وحــقَّ له أنــَّا نُســيل نفــوســَنا مع الدمع لو لم يبــق مــنه بديــلُ

ولكــن مضى بِشــرٌ وظلَّ "محمد" وهــذا لــهذا مُشْــبِهٌ وعــديـــلُ

فكان لنا عن شَيْخِهِ خــيرَ ســلوة ولا غَــرْوَ أن أَسْلى أَبَاهُ سلـــيلُ

فيا بشر إن ترحــل فــيوم "محمد" سلــيلك لم يدرك ضــحاه أصــيلُ

يحــفّ به من آلك الغــر معــشر لهم حيث حل الأكرمــون حلــولُ

فسر غير مرغوب عليهم فكلــهــم "قؤول لــما قــال الكــلام فعــولُ"

عــزاءَكُــمُ يا آلَ بِشــرٍ فَمِثْلكــم لما نــابَ بالصــبر الجميلِ حُمولُ

وكُلُّ امــرئٍ مهــما تعاظــم قَدْرُهُ سيخضــع مــنه للمــنون تلــيلُ[٤٢]

رحم الله المحسن الكريم بشر الرومي، وجزاه عما فعل خير الجزاء، وأسكنه فسيح جناته.

المصادر والمراجع:

* مقابلة مع السيد عدنان سالم الرومي من أحفاد المحسن بشر بن يوسف الرومي.

- أحمد البشر الرومي - ديوان صقر الشبيب: شاعر الكويت – مكتبة الأمل - الكويت.

(٤٢) المنون: الموت، والتليل: العنق.

- د. أحمد مصطفى أبو حاكمة -تاريخ الكويت الحديث – الطبعة الأولى - دولة الكويت ١٩٨٤م.
- الأمانة العامة للأوقاف – تاريخ دائرة الأوقاف العامة (١٣٦٨هـ - ١٣٧٧هـ) - الكويت ١٩٩٥م.
- القبس - العدد ٣٥٩٣ - ١٩٨٢/٥/١٤.
- بيت الزكاة – سلسلة محسنون من بلدي – الجزء الأول والثاني - الكويت ١٩٩٨م /٢٠٠٠م.
- سيف مرزوق الشملان – تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي – الجزءان الأول والثاني – مطبعة الحكومة – الكويت ١٩٧٨م.
- سيف مرزوق الشملان – من تاريخ الكويت – الطبعة الثانية - ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٦م.
- شجرة نسب قبيلة عنزة - التي تم التصديق عليها من الشيخ عروة بن هذال عام ١٨٩٣م.
- عبدالله محمد عبدالعزيز الجزاليني - تاريخ الأفلاج وحضارتها – الطبعة الأولى – الرياض ١٤١٣هـ (١٩٩٢م).
- الشيخ عبدالعزيز الرشيد - تاريخ الكويت – الطبعة الثانية – دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٧١م.
- عدنان سالم الرومي – تاريخ مساجد الديرة القديمة – الطبعة الأولى – الكويت ١٩٨٨م.
- عدنان سالم الرومي – تاريخ مساجد الكويت القديمة - الكويت ٢٠٠٣م.

- عدنان سالم الرومي - علماء الكويت وأعلامها– الطبعة الأولى - مكتبة المنار - الكويت ١٩٩٩م.
- من رسالة الشيخ مبارك الصباح إلى المعتمد البريطاني – مذكرة حول النظام السياسي لدولة الكويت – من إعداد مركز البحوث والدراسات الكويتية.
- الشيخ يوسف بن عيسى القناعي - صفحات من تاريخ الكويت – الطبعة الخامسة – شركة ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٧م.

* وثق هذه المادة حفيده السيد عدنان سالم الرومي.

خضير بن عبدالله الشهاب

(١٣٢٨-١٤٢٢هـ) (١٩١٠ – ٢٠٠١م)

المولد والنشأة

ولد المحسن خضير بن عبدالله الشهاب في "السكة العودة" بمنطقة شرق في دولة الكويت عام ١٣٢٨هـ الموافق لعام ١٩١٠م، لأب فقير، شأن معظم أهل الكويت في ذلك الوقت، الذين ارتبط رزقهم بالبحر؛ سواء بالعمل في سفن السفر أو سفن الصيد أوالغوص على اللؤلؤ، أما أبوه فكان بحاراً كثير الأسفار مع سفن السفر من أجل طلب الرزق الحلال.

يرجع نسبه إلى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة، أحد أشهر قبائل العرب في مكة والجزيرة العربية في ذلك الزمان.

تأثرت شخصيته بشكل كبير بوالدته الفاضلة التي تميزت - رحمها الله – بشخصية قوية وسعة المعارف والثقافة وحسن تدبير الأمور، وكانت تؤدي خدمات جليلة لأهل الحي لأنها ماهرة في بعض أنواع الطب العربي، وكذلك كانت ماهرة في أمور التوليد.

تعليمه :

التحق الطفل خضير في صغره بكتاب الفريج (الحي) وهو المعهد الأول للتعليم آنذاك، ففتح الله عليه وأتم حفظ القرآن الكريم كاملاً في سن مبكرة من حياته، إذ لم يكن قد تجاوز التاسعة من عمره، وقد تلقى تعليمه الأولي بالكتّاب في مدرسة حمادة، حيث تعلم القراءة والكتابة وشيء من الحساب وأتم حفظ القرآن الكريم كما ذكرنا آنفاً.

ولعل في هذا دلالة واضحة على نبوغه – رحمه الله - المبكر وذكائه وقدرته على الاستيعاب، وسوف نفصل ذلك عند الحديث عن صفاته وأخلاقه.

زواجه وأسرته:

تزوج المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – مرتين، الأولى كانت في عام ١٩٢٦م، وكان عمره آنذاك ستة عشر عاماً.

وقد رزقه الله تعالى من هذا الزواج بولدين هما صالح وعبدالعزيز، وثلاث بنات صالحات.

وتزوج مرة أخرى عام ١٩٥٢م بعد ستة وعشرين عاماً من زواجه الأول، وكان عمره آنذاك اثنين وأربعين عاماً، ورزقه الله تعالى بعشرة من الولد: ثلاثة ذكور هم عبدالله ومنذر وضياء، وسبع بنات صالحات.

عمله:

كان المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – محباً للعمل والجد منذ صغره، وكان مغرماً بالبحر منذ نعومه أظفاره، ولذلك اتجه إلى العمل به عندما بلغ مبلغ الشباب، مبتغياً الرزق الحلال في قوله تعالى:"وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)" سورة النحل.

ولكنه لم يستمر في هذا العمل طويلاً، فبعد خمسة أعوام من العمل بالبحر أصابه حادث خطير جعله – رحمه الله - يتجه إلى العمل بالتجارة، وقد نبغ - بفضل الله تعالى - في العمل الحر منذ بدايته، واشتهر بعدة أعمال تجارية انفرد بها، بينما عمره لم يتجاوز ٢٢ عاماً، فكان أول من باع الساعات السويسرية في الكويت عام ١٩٣٢م، ليس بنظام الجملة، ولكن بكميات مفردة، وفي السبعينيات اتجه إلى تجارة العقار.

صفاته وأخلاقه:

الأخلاق الحسنة عنوان الرجل الصالح، وأثقل ما في ميزان المرء يوم القيامة، كما أخبر بذلك الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم في قوله: "مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ .." رواه الترمذي في سننه.

ولذا فقد تحلى المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – بالعديد من الصفات الحميدة كالصبر والنجدة والشهامة والمروءة وهي صفات عظيمة اتصف بها المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – وسوف نتناولها بالتفصيل عند الحديث عن تبرعه لمصر والعراق في أزمتيهما.

جوده وكرمه

كان – رحمه الله – محباً للخير باذلاً للمعروف، ساعياً بهما إلى مرضاة الله تعالى، طامعاً في خير جزائه وحسن ثوابه، وسيتضح ذلك بجلاء في أوجه إحسانه العديدة في حياته في الصفحات التالية، حيث قدم أعمالاً جليلة لا يسع المرء إلا أن يغبطه عليها، نسأل الله تعالى أن يجعلها في ميزان حسناته، وأن يوفقنا وأولاده وأحفاده لأن نفعل مثل ما فعل، وأن يرزقنا الإخلاص في عملنا هذا.

فالإنسان الكريم الجواد، قريب من الله قريب من الناس بعيد عن الشيطان، بينما البخيل علي النقيض من ذلك، كما أخبر الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم: "السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنْ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنْ النَّارِ وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنْ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنْ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنْ النَّارِ وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ" رواه الترمذي.

ولم يكن جوده وكرمه – رحمه الله مقصوراً على أهله وأقاربه ومعارفه فحسب، بل كان كالريح المرسلة يعم عطاؤها الجميع، فلا يرد سائلا ولا يخيب طالبه أبداً.

حفظه لكتاب الله

لقد منح الله تعالى المحسن خضير الشهاب – رحمه الله - نعمة النبوغ والذكاء وسرعة البديهة التي ظهرت عليه بجلاء من خلال حفظه لكتاب الله العظيم وهو لم يتعد التاسعة من عمره، مما جعله يتحلى بالأخلاق الإسلامية، وأخلاق القرآن العظيم، فكان محباً لعمل الخير صبوراً على المصائب والمحن راضياً بقضاء الله تعالى وقدره، وذلك لعمق صلته بالله تعالى وحفظه لكتابه العزيز.

كثرة ذكره للموت

بالرغم من أن غالبية أهل البحر يتصفون بهذه الصفة التي نشأت معهم لطبيعة عملهم الشاق في البحر، والتي تدفعهم دفعاً إلى ذكر الله تعالى باستمرار شاءوا أم أبوا، لما يصارعون من أهوال ولما يلاقون من تلاطم أمواجه وعمق مياهه وظلمته وشدة رياحه، إلا أن هذه الصفة ظهرت بجلاء في المرحوم خضير الشهاب؛ لما عرف عنه من كثرة الذكر ورقة القلب من خشية الله تعالى، مما دفعه إلى كثرة فعل الخيرات والمبادرة إلى الطاعات والحسنات، ليس ذلك فحسب بل إنه كان كثيراً ما يذكِّر من حوله – وفق ما ورد عنه – بالموت وسكرته، والقبر وظلمته، والصراط وزلته، والحساب وشدته.

أوجه الإحسان في حياته

الإحسان أعلى درجات الإيمان، وهو عنوان يقظة القلب واستقامة الوجدان وصدق الثقة في عطاء الله تعالى القائل في كتابه العزيز: "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)" سورة النحل

وقد تعددت أوجه الإحسان في حياة المرحوم خضير الشهاب وشملت الكثير من أوجه البذل والعطاء وتبني الأعمال الخيرية، ومنها:

عمارة المساجد

المساجد بيوت الله في الأرض، جعلها الله تعالى مهبط البركات والرحمات ومهوى أفئدة المؤمنين ليزدادوا إيماناً وإخلاصاً واخوة وتعاونا. ولذلك تسابق المحسنون الكرام من أبناء الكويت جيلاً بعد جيل إلى بناء المساجد وتهيئة سبل نهضتها والارتقاء بها والوقف على إعمارها، ومن هؤلاء كان المحسن الكريم خضير الشهاب – رحمه الله – الذي اجتهد في سبيل بناء العديد من المساجد داخل الكويت وخارجها كما يلي:

أولاً: داخل الكويت

عاش المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – على أرض هذا الوطن الغالي ودرج على أرضه واستظل بسمائه وأسبغ الله عليه بخيره ونعمه، فأراد أن يرد الجميل لبلده، فلم يجد أفضل من بناء المساجد فقام بتأسيس مسجد في منطقة جنوب السرة ومصلى بمنطقة السالمية على نفقته، بغية التقرب إلى الله تعالى وأن يبني له بيتاً في

الجنة، مصداقاً لوعد نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ" رواه البخاري.

مسجد خضير الشهاب بجنوب السرة

ويقع في القطعة الثالثة بمنطقة السلام في منطقة جنوب السرة وهي منطقة سكنية حديثة في دولة الكويت، ولذلك تم اختيارها لبناء هذا المسجد، الذي تأسس في عام ٢٠٠١م، وافتتح للمصلين في نوفمبر من نفس العام، الموافق لشهر رمضان ١٤٢٢هـ.

ولم يقدر الله تعالى للمحسن الكريم خضير الشهاب – رحمه الله – أن يشهد افتتاح هذا المسجد المبارك لوفاته قبل هذا التاريخ بستة أشهر، نسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناته، وأن يبني له به بيتاً في الجنة.

ويتميز المسجد بمئذنتيه المتناسقتين وتكسيته "بالموزاييك" واستخدام الديكور الخشبي به، وكذلك معلقات الإضاءة المشابهة لمعلقات الحرم، والآيات القرآنية والنقشات الإسلامية الجميلة في جدران المسجد.[٤٣]

المواصفات العامة للمسجد

- المساحة الكلية للمسجد ١١٩٣,٦ متراً مربعاً.
- مساحة مصلى النساء ٤١١ متراً مربعاً.
- يتسع المسجد لعدد ٥٥٠ مصلٍّ.
- يتسع مصلى النساء لعدد ١٥٠ مصلّية.

١- كتيب: مساجد منطقة جنوب السرة والسيرة الذاتية لواقفيها – الأمانة العامة للأوقاف – الإصدار الأول – الكويت ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م.

- يضم المسجد مكتبة تبلغ مساحتها ٥٠ متراً مربعاً.
- بني المسجد على الطراز المعماري الإسلامي الحديث.
- للمسجد مئذنتان متناسقتان، يبلغ ارتفاع كل منهما ٢١,٥ متراً.

مصلى خضير الشهاب بالسالمية

وهو يقع في شارع البلاجات على شاطئ الخليج العربي بمنطقة السالمية في دولة الكويت، وقد سمي المصلى باسم والده عبدالله شهاب ووالدته أمينة يوسف مبارك الخاجة – رحمهما الله – وذلك براً بواديه وعملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ" رواه الترمذي.

ويخدم هذا المصلى رواد تلك المنطقة على البحر مباشرة وحيث تزدحم الشوارع بالمارة والمنطقة بالمطاعم والمتاجر، ويوجد بجوارالمصلى أيضاً مكان مخصص للوضوء، وقد أشرف على تنفيذه بيت الزكاة في الكويت.

ثانياً: خارج الكويت

لم يكتف المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – بالاجتهاد في إعمار بيوت الله تعالى داخل بلده الكويت، بل كان سعيه في إعمارها خارج دولته أكبر وأشد، لما رأى من حاجة بعض هذه الدول للمساجد مقر العبادة والتوحيد لله تعالى، ولكونها أيضاً مقراً للدعوة ونبراساً للهداية ونشر العلم، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الدور العلمي للمساجد بقوله: "مَنْ غَدَا أَوْ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ غَيْرَهُ لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ لِيُعَلِّمَهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَجَعَ غَانِمًا" أخرجه مالك في الموطأ.

ونظراً لرغبة المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – في نشر هذه الفوائد العظيمة للمسلمين في شتى بقاع الأرض، قام – رحمه الله – بتأسيس ستة مساجد لله تعالى في عدة دول عربية وإسلامية كما يلي:

١- مسجدان في الجمهورية التونسية.

٢- مسجد في البصرة .

٣- جامع كبير في إفريقيا.

٤-مسجد في أفغانستان.

٥-مسجد في باكستان.

وهكذا فقد بلغ عدد المساجد التي أسسها المحسن خضير الشهاب - رحمه الله – ثمانية مساجد داخل الكويت وخارجها، ولعله توافق عجيب ومبارك أن تتساوى مع عدد أبواب الجنة الثمانية، وإن لم يكن هدفه ذلك – رحمه الله – فعسى الله أن يكون قد قدر له هذا الخير كي يدخله من أبواب الجنة الثمانية، كما بشر نبينا صلى الله عليه وسلم صاحبه وخليله الصديق رضي الله عنه.

ترميم المساجد

لما علم المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – بحاجة عدد من المساجد في بلدين عربيين شقيقتين هما مصر وسورية إلى ترميم وصيانة، لم يتردد قط، بل سارع إلى المساهمة في ذلك العمل الخيري ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه، وكأن لسان حاله يردد القول المأثور: "لا يشبع المؤمن من بر حتى يكون منتهاه الجنة".

بناء المساكن والبيوت

لقد تشعبت طرق الخير والعطاء لدى المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – فشملت العديد من أوجه الإحسان كما ذكرنا آنفاً، وهناك مجال آخر، قام فيه – رحمه الله - بعمل جليل لخدمة المسلمين في أماكن شتى، من خلال بناء المساكن وبناء مجمع تجاري، ووقفه لله تعالى، وذلك بواسطة هذه اللجان الخيرية الكويتية.

وقد خططت هذه اللجان مشاريعه الخيرية ونفذتها على النحو التالي:

معهد مالك بن أنس رضي الله عنه في لغون الغربية

قام – رحمه الله – ببناء ووقف هذا المعهد ضمن مجمع المركز الإسلامي في مدينة "موندو" بإقليم "لغون الغربية" بدولة تشاد، بوسط القارة الإفريقية التي يكثر فيها المسلمون، وتحتاج بشدة إلى مساعدة إخوانهم المسلمين من كل مكان لمد يد العون لهم.

وقد أشرف على تنفيذ البناء وتجهيز هذا المشروع لجنة مسلمي إفريقيا (جمعية العون المباشر)، وهو يضم عدداً كبيراً من الفصول الدراسية ومرافقها، وتبلغ مساحته ٢٠٥ أمتاراً مربعةً، وتم افتتاح هذا المشروع بعد تأثيثه في عام ١٩٩٨م، وهو يزاول نشاطه حالياً، وقد بلغت تكاليف إنشائه ١١٨٨٠ ديناراً كويتياً، تكفل بها المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – مبتغياً من الله تعالى الأجر والثواب على هذا العمل المبارك، قال تعالى: "لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)" سورة آل عمران.

مشغل فاطمة الزهراء في "توغو"

وقد بلغت تكاليف بناء وتأثيث هذا المشغل ١١٨٦٠ ديناراً كويتياً، أنفقها المحسن خضير الشهاب - رحمه الله – بكل سخاء، رغبة فيما عند الله من خير، وقد أقيم هذا

المشروع في مدينة "زنغو" بدولة "توغو" بالقارة الإفريقية على مساحة أرض قدرها ٣١٠ م٢، بواسطة لجنة مسلمي إفريقيا التي أتمت تنفيذه – بفضل الله تعالى – عام ١٩٩٧م، وهو يمارس نشاطه الآن في خدمة النساء المؤمنات في تلك المدينة، من خلال تدريبهن وانتفاعهن بما ينتجه المركز من أعمال تحقق لهن دخلاً مادياً جيداً.

مركز تدريب النساء في سيراليون

وقد تأسس هذا المشروع في مدينة "فري تاون" بدولة سيراليون، وتم الانتهاء من تنفيذه في أول فبراير من عام ١٩٩٣م، بواسطة لجنة مسلمي إفريقيا أيضاً، وهو يشغل مساحة قدرها ٢١٠ متر٢، وبلغت تكاليف إنشائه عشرة آلاف دينار كويتي، ومازال هذا المركز يمارس نشاطه ليكون رمزاً لعطاء المحسنين الكويتيين، وهو يعتبر داراً متخصصة في تدريب النساء الفقيرات ويشمل مع ذلك نشاط الدعوة من خلال دعاة مسلمين مقيمين في بيوت سكنية ملحقة بالدار.

بناء مساكن في البحرين

إيماناً من المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – بأهمية السكن للإنسان، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا" رواه الترمذي.

توجه تفكيره – رحمه الله - إلى عمل خيري جليل في دولة شقيقة هي البحرين، فقام ببناء عدة بيوت سكنية بواسطة بيت الزكاة في دولة الكويت.

دار أيتام سعد عبدالعزيز القعود

وقد تأسست تلك الدار على نفقة المحسن خضير عبدالله الشهاب – رحمه الله - بواسطة لجنة مسلمي إفريقيا (جمعية العون المباشر) التي أشرفت على تأسيس وبناء المشروع بتكلفة قدرها ١٠٤٠٠ دينار كويتي، وعلى مساحة قدرها ٢٢٨ متراً مربعاً، وتشرف اللجنة حالياً على أنشطة المشروع التي تهتم برعاية أيتام المسلمين ومادياً ونفسياً واجتماعياً وتعليمياً تعويضاً عن ذويهم والعمل على تربيتهم إسلامياً بالصورة التي تعود عليهم بالنفع لهم ولأوطانهم، عملاً بقول الله تعالى: "... وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ...(٢٢٠)" سورة البقرة.

وقد تأسس هذا المشروع ضمن مركز الهدى الإسلامي "بيتا" في غينيا كوناكري عام ٢٠٠١م، وتم الانتهاء منه وافتتاحه في عام ٢٠٠٢م.

بئر عبدالله شهاب وأمينة يوسف مبارك

وهو بئر ارتوازي تأسس ضمن مركز الفرقان – الساحل بحي ريغو في لومي عاصمة توغو على مساحة قدرها ١١٢ متراً مربعاً، وهي بئر حديثه حيث تشمل مضخة كهربائية وخزان لتوفير المياه مع كامل التمديدات اللازمة لذلك، وقد تبرع المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – بتكاليف هذا المشروع التي بلغت ١٠٠٠٠ ديناراً كويتياً، جعلها رحمه الله طهرة له ولزوجته التي أشركها في المشروع بضم اسمها إليه ليكون لها نصيب من أجر سقي الماء لهولاء الفقراء الذين هم في أمس الحاجة لكل قطرة منه، لكونه مصدر الحياة لكل الكائنات على وجه الأرض ولذلك فقد عد الإسلام سقي الماء من أفضل الصدقات، كما جاء في الحديث الشريف عَنْ

سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا، قَالَ نَعَمْ، قَالَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: سَقْيُ الْمَاءِ فَتِلْكَ سِقَايَةُ سَعْدٍ بِالْمَدِينَةِ" أخرجه النسائي في سننه.

تبرعاته وصدقاته

اتسعت تبرعات المحسن خضير الشهاب – رحمه الله – وشملت عدداً كبيراً من الجمعيات واللجان الخيرية ورجال الخير داخل الكويت وخارجها، فكان إنفاقه – رحمه الله - إنفاق من لا يخشى الفقر، إيماناً منه بفضل الله تعالى عليه، والثواب الكبير لهذه الأعمال عنده تعالى، الذي يربي الصدقة فتصبح كالجبل، كما أخبر الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم وقال: "مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلا الطَّيِّبَ إِلا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ" رواه مسلم.

ولذلك كان – رحمه الله – حريصاً على عمل الخير وإخراج الزكاة في وقتها وبكامل نصابها، وكان يرسل الزكاة والصدقات لمن يحتاجها سواء داخل الكويت أو خارجها، وقد عرف عنه - رحمه الله - أنه تبرع بمبالغ ضخمة إلى الجهات التالية:

- بيت الزكاة – الكويت.

- جمعية الإصلاح الاجتماعي، حيث كانت تربطه صلة قوية بالعم عبدالله العلي العبدالوهاب المطوع حفظه الله رئيس الجمعية.

- الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، بواسطة العم يوسف جاسم الحجي حفظه الله.

- كما كان يعطي مبالغ كبيرة لبعض أهل الثقة كزكاة وصدقات في سبيل الله تعالى لإيصالها إلى مستحقيها، ومن هؤلاء:

- الشيخ عبدالله النوري – رحمه الله – وكان يعطيه مبالغ لتوصيلها إلى إندونيسيا وبعض دول جنوب شرق آسيا.

- المرحوم خالد السعدون، لتوصيلها إلى مستحقيها في البحرين.

- العم عبدالله عبدالعزيز المنيس، لتوصيلها إلى الهند.

- العم عبدالله العثمان لإنفاقها داخل الكويت.

- العم عبدالله فهد لتوصيلها إلى مستحقيها في مكة المكرمة والرياض.

- العم إبراهيم عبدالله المنصور القنصل العام في جدة وسفير دولة الكويت الأسبق في دولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة، وذلك لتوصيلها إلى مستحقيها حيثما يعمل في سفارات دولة الكويت.

وهكذا فقد امتد عطاؤه – رحمه الله - إلى أكثر من عشرة أقطار عربية وإسلامية، مما يدل على حبه الكبير للخير ورغبته الواسعة في الجود والبذل .

دوره نحو أهله وأصدقائه

كان يحث أبناءه دائماً على الخير والمثابرة والتحصيل العلمي، وكان يدعمهم مادياً ومعنوياً بقوله: "الشهادة سلاح المستقبل، والاعتماد على النفس خير من الاتكال على الغير".

وذلك يدل على إحساسه بالمسؤولية نحو أولاده وعائلته، وحرصه على العمل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " رواه البخاري.

كما كان – رحمه الله – يحث أبناءه وأصدقاءه ورواد مجلسه على فعل الخير والتصدق والإسراع بإخراج الزكاة قبل فوات الأوان، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا" رواه مسلم.

دوره الوطني

شارك - رحمه الله - في رفع اسم بلده الكويت عالياً في أماكن شتى من العالم بما قدمه من خير وبذل وعطاء ما زالت آثاره باقية إلى يومنا هذا، فلم يكن مفهوم الوطنية عنده ضيقاً ومقتصراً على بلده فحسب، بل إنه كان يؤمن بالعروبة وبكيان الأمة الإسلامية عموماً، وكأن لسان حاله يردد قول الشاعر:

وأينما ذكر اسم الله في وطن عددت أرجاءه من لب أوطاني

فبالإضافة إلى تبرعاته وما أسسه من مساجد وأعمال خيرية فقد قام – رحمه الله - بدور بارز نحو بلدين عربيين كانا في حاجة إلى المساعدة آنذاك، هما:

أولاً مصر:

عندما تعرضت مصر الكنانة للعدوان الثلاثي الغاشم عام ١٩٥٦م من قبل إسرائيل وفرنسا وإنجلترا، صمد الشعب المصري صموداً عظيماً، وقدم تضحيات كثيرة وبطولات، وقتها تحركت الأمة العربية جميعاً لمناصرة الشعب المصري ومؤازرته، وما كان لمحسن كريم كالمرحوم خضير الشهاب أن يقف مكتوف اليدين تجاه تلك الأزمة، من باب إيمانه بقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ

مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه البخاري.

لذلك فقد دفعته نجدته وشهامته ومروءته إلى أن يقوم بإرسال تبرع كريم بقيمة ٢٥ ألف جنيه لإخوانه بمصر إبان هذا العدوان الغاشم عليها، وكان هذا مبلغاً كبيراً في ذلك الوقت، ويعادل أضعافه بكثير في أيامنا هذه. وقد تلقى لذلك - رحمه الله - رسالة شكر من الرئيس المصري آنذاك جمال عبدالناصر.

ثانياً: العراق:

من باب نصرة الجار وتفريج كربه والوقوف معه عند الشدائد، وذلك عملاً بالحديث الذي ذكرناه آنفاً، قام - رحمه الله - بإرسال تبرعات ضخمة وصلت قيمتها إلى أكثر من مائة ألف دينار كويتي لمساعدة الشعب العراقي في التغلب على الأزمات العديدة التي تعرض لها بسبب الحروب المتتالية التي ورطه فيها نظامه البائد، محاولاً بذلك التخفيف عن هذا الشعب المغلوب على أمره من آثار تلك الحروب.

وفاته

هكذا كانت حياة المحسن الكريم خضير الشهاب وسيرته العطرة - رحمه الله – وقد ذكرنا منها ما علمناه من ذريته. ومن المؤكد - وفق رواية ابنه منذر - أن ما لا نعلمه عنه أكثر بكثير مما ذكرناه.

وبعد هذه الحياة الحافلة بألوان شتى من البر والبذل والإنفاق في سبيل الله تعالى، ألقى مرساته وأسلم روحه إلى بارئها في يوم السبت ٢٥ صفر عام ١٤٢٢هـ الموافق ١٩ مايو عام ٢٠٠١م، عن عمر ناهز الاثنين والتسعين عاماً، بعد معاناة من عدة أمراض.

نسأل الله تعالى أن يرحمه رحمة واسعة وأن يجزل له المثوبة والعطاء، وأن يجعل أعماله في ميزان حسناته ويسكنه فسيح جناته.

المصادر والمراجع:

* مقابلة مع السيد منذر خضير عبدالله الشهاب، ابن المحسن خضير الشهاب – رحمه الله.

- لجنة مسلمي إفريقيا.

- الشؤون الهندسية بإدارة المساجد – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- الأمانة العامة للأوقاف – كتيب مساجد جنوب السرة والسيرة الذاتية لواقفيها – الإصدار الأول – الكويت ٢٠٠٣/٢٠٠٢م.

* وثق هذه المادة ابنه منذر خضير عبدالله الشهاب.

راشد سعد ساير العلبان

(١٣١٨ – ١٣٩٨هـ) (١٩٠٠ – ١٩٧٧م)

المولد والنشأة:

هو راشد بن سعد بن ساير العلبان، المولود في فريج البدر بمنطقة القبلة في مدينة الكويت عام ١٣١٨هـ الموافق لعام ١٩٠٠م.

نشأ في أسرة عريقة مشهورة بالكرم والسخاء، والسمعة الطيبة، هي أسرة العلبان، وهي أيضاً من الأسر الكويتية المشهورة بنشاطها البحري، فقد ركبوا البحر وصاروا نواخذة معروفين منذ أمد بعيد، وتوارثوا هذه المهنة أباً عن جد وملكوا العديد من

سفن الغوص على اللؤلؤ، فقد كان والده المرحوم سعد بن ساير العلبان نوخذة معروفاً، وكان جده كذلك، وقد عُرفوا في منطقة الخليج العربي بتجارة اللؤلؤ.

وقد اشتهرت في ذلك الوقت أسرة العلبان بالغنى والثراء، حتى إنهم كانوا من أوائل سكان منطقة الشامية، وهم كذلك من أوائل الأسر التي أقامت بضاحية عبدالله السالم. كما أن أسرته كانت من أولى العائلات التي اقتنت الأجهزة الكهربائية في ذلك الوقت.

تلقى راشد العلبان تعليمه في مدرسة المباركية التي افتتحت عام ١٩١٠م وكان محبوباً من الجميع. ومما زاد من حب الناس له أنه كان من الطلبة المتفوقين جداً، ولكن لم يقدر له أن يتم تعليمه، ولعل السبب في ذلك أنه ورث حب البحر وعشق ركوبه عن آبائه وأجداده، فأخذ يعمل ويتعلم "التنوخذ" بجد ومثابرة حتى صار من أمهر النواخذة، وقد وفقه الله تعالى في عمله وبارك له في جهده حتى إنه امتلك سفينة من سفن الغوص على اللؤلؤ وهو في سن الشباب.

صفاته وأخلاقه:

لما كان المحسن راشد العلبان محباً للبحر فقد اتخذه صديقاً حميماً له يجلس إليه ويناجيه كما يناجي الخليل خليله، فتعلم منه الكثير من الصفات الطيبة كالصفاء، والجود، والكرم، فالبحر يعطي بلا حدود، ولا يبخل على أحد يبحث في أعماقه عن الرزق، وكما أن البحر رحمة للناس بما جعله الله فيه من خير عميم، كان المحسن راشد العلبان كذلك عطوفاً على من حوله رحيماً بهم.

كما كان – رحمه الله – محباً للآخرين، يسعى لمساعدتهم ومد يد العون لهم عند الحاجة، وكان صادق الوعد، متعلقاً بالله حريصاً على أداء الفرائض وتلاوة القرآن

الكريم، لا سيما وقت الفجر الذي خصه الله بالذكر في قوله تعالى: "أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)" سورة الإسراء.

عمله:

ركب راشد العلبان – رحمه الله - البحر منذ طفولته مع والده النوخذة سعد العلبان، وأبحر معه إلى مواطن الهولو واليامال، وإلى مغاصات (هيرات) اللؤلؤ في عدة مواسم، وقد امتلك في شبابه – كما أسلفنا - سفينة خاصة بالغوص على اللؤلؤ، من النوع الذي يسمى "شوعي"، وأطلق عليها لقب "مرزوق" "وتنوخذ" عليها، كما امتلك نوعاً آخر من سفن الغوص يعرف باسم "جالبوت" وحملت أيضاً اللقب السابق نفسه.

وظل النوخذة راشد العلبان – رحمه الله - ملازماً للبحر فترة طويلة، يشده الشوق والحب للمهنة التي عمل بها آباؤه وأجداده، وقد صعب عليه أن يترك البحر – كما فعل البعض بعد تدفق النفط في الكويت – فاستمر مزاولاً لهذه المهنة حتى عام ١٩٦٤م، فكان آخر نواخذة الغوص على اللؤلؤ في دولة الكويت، كما يؤكد ذلك المؤرخ الكويتي العم سيف مرزوق الشملان في كتابه "تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي"، قائلاً: "آخر نوخذة كويتي كان يزاول مهنة الغوص على اللؤلؤ هو المرحوم راشد بن علبان المتوفي عام ١٩٧٧م، "[٤٤].

أول من استخدم العمالة الأجنبية

مما عُرف عن المحسن راشد العلبان – رحمه الله – أنه من أوائل الذين استخدموا عمالة أجنبية للعمل معه في البحر للغوص على اللؤلؤ وكانت من عُمان، وذلك بعد

([٤٤]) نواخذة الغوص والسفر في الكويت - عادل محمد العبد المغني – ص ١٠٥ - الكويت ١٩٩٩م.

عزوف الكويتيين عن العمل في مهن البحر لتدني أسعار اللؤلؤ، والتحاقهم للعمل بالوظائف الحكومية، حيث العمل المريح والأجر الأكبر.

ويؤيد ذلك الكاتب عادل محمد العبدالمغني في كتابه "نواخذة الغوص والسفر في الكويت" بقوله: "في بداية الستينيات لم يجد راشد العلبان أحداً من أهالي الكويت على استعداد للدخول معه في الغوص، فاضطر للاتفاق مع مجموعة من أهالي عُمان للعمل تحت رايته، واستمر معهم بضع سنوات، وكان بوده الاستمرار لولا صعوبة وصول بحارة عمان في كل موسم، فتوقف عن (التنوخذ) وكان أخر نوخذة كويتي"[٤٥]

زواجه وذريته:

رغم أن المحسن راشد العلبان – رحمه الله - انشغل منذ صغره بالبحر، وصار هوايته وحرفته في آن واحد، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يلبى النداء الفطري المركوز في كل إنسان، فبحث عن الزوجة الصالحة التي تقر بها عينه، ويسعد بها قلبه ويرزق منها أولاداً يملؤون عليه حياته، ويخلدون ذكره، مردداً مع عباد الرحمن كلام الحق جل وعلا: "... رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)" سورة الفرقان.

وقد وفقه الله تعالى إلى العثور على شريكة حياته، وتم الزواج في جو مليء بالبشر والحبور، والسعادة والسرور.

غير أن الله تعالى قدر أن تموت هذه الزوجة قبل أن تنجب له أطفالاً، فتزوج من فتاة أخرى، مكثت معه ما شاء الله أن تمكث، ثم قدر الله لها أن تلحق بالأولى،

([45]) تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي - سيف مرزوق الشملان – الجزء الثاني – الطبعة الأولى – ص ١٤٣.

وسبحان الله الذي يبتلى عباده ليكفر عنهم ذنوبهم ويرفع درجاتهم؛ مصداقاً لقوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور (٢)" سورة الملك.

فتجلد – رحمه الله - بالصبر على قضاء الله تعالى وقدره، وشرع في البحث عن زوجة ثالثة، إلى أن وفقه الله تعالى إليها، فكانت له خير عون في هذه الحياة وتعلمت منه الكثير وخاصة في الجانب الخيري من حياته – رحمه الله – وقد رزقه الله تعالى من زوجتيه الثانية والثالثة ذرية طيبة مباركة بلغت ستة من الأولاد وسبعاً من البنات.

وقد ورث هؤلاء الأبناء عن أبيهم – رحمه الله – حب الخير وعمل الصالحات، حتى إن ابنه حمد – رحمه الله - بنى مسجداً قبل وفاته في منطقة كبد، وما زال هذا المسجد يحمل اسمه حتى الآن.

ومن فضل الله تعالى أن ألقى في قلب أبنائه جميعاً حب الإنفاق في أوجه الخير المتعددة، فكان منهم ابنه فهد الذي شارك في حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ – السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣، وأصيب في المعركة، وحصل على وسام الشرف من الرئيس المصري الراحل أنور السادات.

وقد كان لفهد أوجه إنفاق عظيمة على أهله وإخوانه، خاصة المحتاجين منهم، بل إنه وزع ميراثه من أبيه – وكان مبلغاً عظيماً في ذلك الوقت - على أوجه الخير، وعلى رأسها مساعدة إخوانه المقربين، فكانت صدقة وصلة، كما أخبر النبي صلي الله عليه وسلم: "أَسْرَعُ الْخَيْرِ ثَوَابًا الْبِرُّ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عُقُوبَةً الْبَغْيُ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ" أخرجه ابن ماجه في سننه.

ولم يكن ذلك غريباً على الابن فهد الذي ورث عن أبيه صفات كريمة منها السخاء والجود والكرم، وصدق القول المأثور القائل "من شابه أباه ما ظلم".

أوجه الإحسان في حياته:

تشرب المحسن راشد العلبان، حب الإحسان وفعل الخيرات منذ نعومة أظفاره، وكان يعلم أن ثواب الإحسان عظيم، وجزاءه عند الله جزيل؛ مصداقاً لقوله تعالى: " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)" سورة النحل.

ولذا حرص – رحمه الله – على أن يسهم في أوجه الخير المتعددة، فتنوعت أوجه إحسانه وتفرعت، حتى صارت كالشجرة الطيبة مورقة الأغصان، كثيرة الثمار، دائمة العطاء:

مسجد العلبان بكيفان:

كان – رحمه الله – يدرك أن بناء المساجد عمل خيري عظيم القدر، لكونها ملتقى المسلمين المصلين الذاكرين المتعبدين لله رب العالمين. كما أيقن من وعد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، في قوله "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُذْكَرُ فِيهِ اسْمُ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ" رواه ابن ماجه في سننه.

فقام - رحمه الله - ببناء بيت الله تعالى في القطعة الرابعة بمنطقة كيفان في محافظة العاصمة بدولة الكويت عام ١٣٨٨هـ الموافق لعام ١٩٦٨م، وقد سمي المسجد باسم مسجد راشد سعد العلبان، وهو مسجد جامع ذو مئذنتين، وقد تحمل - رحمه الله - تكاليف البناء كاملة، كما أشرف على فرشه وتجهيزه وإضاءته، ولم يهدأ له بال، حتى تم البناء، وصدح من فوق مئذنته صوت المؤذن بالنداء الخالد: الله أكبر.

المواصفات العامة للمسجد:

- المساحة الكلية للمسجد ١٦٥٠ متراً مربعاً.
- مساحة مصلى النساء ١٧٥ متراً مربعاً.
- يتسع مصلى الرجال لعدد ١١٠٠ مصلٍّ، ومصلى النساء يسع ١٢٠ مصلّية.
- ارتفاع المئذنة ١٨ متراً.
- بني المسجد على الطراز العادي الحديث.

وكم كانت فرحتة غامرة، وهو يرى جموع المصلين تتجه صوب هذا البيت العامر مصلية ذاكرة راكعة ساجدة داعية لله رب العالمين.

ولم يكتف رحمه الله ببناء المسجد فحسب، بل كان يحرص على إعانة المحتاجين من رواده – وما أكثرهم في ذلك الوقت – فينصرفون داعين له بطول العمر وسعة الرزق.

بناء المدارس:

لقد ذاق المحسن راشد العلبان – رحمه الله – لذة العلم والمعرفة، وذاق طعم التفوق في الدراسة، وفق رواية ابنته التي قالت إنه كان دائماً على رأس المتفوقين، لعلمه عظم مكانة العلم والتعليم ورفعة شأن المتعلمين، وإن كانت ظروفه وشغفه بالبحر حالا بينه وبين إكمال التعليم بمدرسة المباركية، ومن هنا حرص – رحمه الله – على أن ينهل أبناء بلده – الكويت – من معين العلم ما ينفعهم، ويمكنهم من المساهمة في بناء وطنهم ورفعة شأنه. قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: "أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْمًا ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ" أخرجه ابن ماجه في سننه.

ولهذا لما بدأت حملة التبرعات لبناء عدد من المدارس في دولة الكويت عام ١٩٥٠م، بادر المحسن راشد العلبان بالتبرع بسخاء لهذا المشروع، فكان على رأس

المحسنين الكويتيين الذين تبرعوا من أجل هذا الهدف النبيل، وليكون من الداعين قولاً وفعلاً إلى نشر العلم النافع.

وقد نجحت حملة التبرعات هذه في إنشاء العديد من المدارس التي خرجت الرعيل الأول من متعلمي الكويت الذين يحملون الآن شعلة نهضتها، ويخُطّون طريق تقدمها ورفع رايتها.

ومن المدارس التي أنشئت من أموال تلك الحملة: مدرسة سُكينة الابتدائية للبنات، ومدرسة أسماء المتوسطة للبنات وثانوية الجزائر للبنات، ومدرسة قرطبة المتوسطة للبنات، وكلها في منطقة الشامية، بالاضافة إلى مدرسة خولة المتوسطة للبنات في منطقة الشويخ.

كما كان يساهم – رحمه الله – بشكل كبير في تجهيز بعض تلك المدارس، فكان يقوم بالتبرع بالمال لإداراتها لشراء المكيفات والسجاد وغيرهما من المستلزمات الضرورية.

إهداؤه الأراضي لأصدقائه وأصحابه:

كان المحسن راشد العلبان – رحمه الله - يعلم أن عمل الخير لا يقتصر بالضرورة على الفقراء والمحتاجين فحسب، بل إن التهادي والتواصل بين الإخوان والأصدقاء والأقارب يعد من أعمال الخير المرغوبة في الإسلام، ولذلك فقد أوصانا بها رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: "تَصَافَحُوا يَذْهَبْ الْغِلُّ وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبْ الشَّحْنَاءُ" أخرجه مالك في الموطأ.

ولذلك أراد – رحمه الله - أن يتبع هذه السنة الحميدة وأن يعمل بهذه الوصية النبوية الكريمة، فكان يقوم بشراء قطع من الأراضي، ثم يهديها لأصحابه وأصدقائه، هبة لله تعالى بدون مقابل، لعلها تكون نفعاً لهم ولأولادهم من بعدهم، حتى يسهم هذا في

إدخال السرور إلى قلوبهم من ناحية، ويحقق حياة كريمة لهم من ناحية أخرى، ولعلها تكون في ميزان حسناته إن شاء الله من ناحية ثالثة.

التبرع للمحتاجين من أبناء الخليج:

لم يشأ المحسن الكريم راشد العلبان – رحمه الله – أن يقتصر بره ومعروفه على أبناء بلده وأقاربه وأصدقائه فحسب، بل أراد أن يمتد ظل شجرة جوده الوارفة لتشمل إخوانه المسلمين في أماكن أخرى هم في حاجه للمساعدة والإعانة، عملاً بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لمْ يَهْتَم بأَمْرِ المسلِمينَ فَليسَ مِنهُم".

ولذلك كان – رحمه الله – يتبرع بما يستطيع من الأموال والمساعدات العينية لإخوانه في دول الخليج العربي، وخاصة أهل البحرين الشقيق، لما بينها وبين الكويت من صلة خاصة.

وكان يساعدهم بما يقدر عليه من أوجه المساعدات الأخرى، حتى يحقق لهم حياة كريمة سعيدة.

وقد ملأت شهرته في هذا المجال الآفاق، وعم شذا عطره الأجواء، فعُرف بين أهل الخليج بصفات الكرم والسخاء، رغم حرصه على السرية وعدم الظهور، وقد صدق القائل:

دلائلُ البِرِّ لا تَخفَى عَلى أحَدٍ كَعاطِرِ المِسكِ لا يَخْلو مِن العَبَقِ

تبرعه لفلسطين ومصر والجزائر وبعض الدول العربية:

فلسطين قلب العروبة النابض، ومصر بوابة إفريقيا الشرقية، والجزائر هي أرض الكفاح والنضال والثبات. وقد اتسع قلب المحسن راشد العلبان – رحمه الله - ليشمل

بالحب والعطاء كل عربي ومسلم، وكأنه في ذلك متمثل قول الله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)" سورة الحجرات.

فمن أجل هذا كانت له أيادٍ بيضاء وصفحات ناصعة من التبرع لهذه الدول الثلاث خاصة في أوقات الحروب والمحن التي مرت بها، وكذلك غيرها من الدول العربية الأخرى.

قضاء الحوائج وتفريج الكربات:

بحكم نشأته في بيئة طيبة صالحة أدرك المحسن راشد العلبان – رحمه الله - مبكراً أن خير الناس أنفعهم للناس، وأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، وأن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، وأن من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، كما أخبر الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم.

ولذا كان – رحمه الله – لا يرد محتاجاً أبداً، بل كان يسعى في قضاء حوائج الناس وتفريج كرباتهم وخاصة الفقراء المساكين منهم، مدخلاً السرور على قلوبهم، وراسماً البسمة على شفاههم، مبتغياً بذلك الثواب من الله رب العالمين.

وكان – رحمه الله - يحظى منهم بالحب والتقدير، والدعاء إلى الله العلي القدير أن يكافئه في الدنيا والآخرة، وأن يجعل أعماله في ميزان حسناته يوم الدين، وقد شهد له بهذه الأعمال الطيبة أقرانه ومعارفه وفق ما أفادت به ابنته موثقة هذه المادة.

ولائم الإفطار في رمضان:

في رمضان تهب على المسلمين رياح الجنة، فتبعث في النفوس همَّة ونشاطاً وحباً للخير والجود والإنفاق، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فكان فيه كالريح المرسلة.

وسيراً على هذا النهج النبوي وتأسياً بسلوك الرسول الكريم كان – رحمه الله - يقيم ولائم الإفطار في شهر رمضان من كل عام في بيتيه العامرين بضاحيتيْ عبدالله السالم والشامية، وكان – رحمه الله – يحب أن تتكاثر الأيدي على الطعام عنده، حتى إنه كان يحرص على إفطار ما لا يقل عن أربعين صائماً كل يوم، منتظراً الثواب الكريم من الله تعالى الذي بشر به النبي ﷺ في قوله :"مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا " رواه الترمذي .

سقي الماء وإقامة مظلات للفقراء:

جعل الله تعالى من الماء كل شيء حي، وتشتد أهمية المياه في الأماكن التي لا توجد فيها أنهار كالكويت وغيرها من بلدان الخليج.

وإذا عرفنا أنه لم يكن متيسراً في الماضي، الحصول على المياه النقية لندرتها من ناحية، وتكلفتها من ناحية أخرى، أدركنا عظم ثواب من يسقي الماء ابتغاء مرضاة الله تعالى.

وإذا كان الله تعالى قد غفر لرجل سقى كلباً، فما بالك بثواب من يسقي العطشى، ويروي ظمأهم بمياه نقية عذبة تنزل عليهم برداً وسلاماً؟ وهذا ما حرص عليه المحسن راشد العلبان – رحمه الله - حيث أقام سبيلاً للفقراء وذوي الحاجات وعابري السبيل.

ليس هذا فحسب، بل إنه – رحمه الله - أنشأ بعض المظلات على نفقته لتحمي هؤلاء الفقراء والمحتاجين من حر الشمس، وتمكنهم من ممارسة بعض أعمالهم

البسيطة في ظلها كبيع وشراء بعض السلع والتي تعينهم أثمانها الزهيدة على قضاء حاجاتهم المهمة في الحياة.

الدعوة والإرشاد:

أدرك المحسن راشد العلبان – رحمه الله - مبكراً أن الله تعالى أعلى من شأن الداعين إليه، المبلغين رسالاته، وأدرك أن الدعوة إلى الله تعالى فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الكل، وإذ لم يقم به أحد أثم الجميع، مصداقاً لقول الله تعالى " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)" (آل عمران).

ولهذا حرص – رحمه الله - على أن يقيم علاقات طيبة مع الناس جميعاً لا سيما أقاربه لتكون مدخلاً له لدعوتهم والتأثير فيهم، ومما زاد حب أولاده له وتأثرهم به أنهم لمسوا عشقه لكتاب الله تعالى تلاوة وحفظاً، فكانوا يسمعونه يرتله بصوت جميل طيب قبل الفجر، لدرجة أنهم كانوا يستيقظون للصلاة عند سماعه يرتل آيات الله تعالى بهذا الصوت العذب الشجي.

ورغم أنه – رحمه الله - كان يملك سيارة بل عدة سيارات إلا أنه كان يحرص على أن يذهب إلى المسجد سيراً على قدميه، برغم بُعد المسجد عن منزله، طلباً للثواب والأجر من الله تعالى، وتأولاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُكَفِّرُ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَزِيدُ بِهِ فِي الْحَسَنَاتِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ" رواه ابن ماجة في سننه.

حث غيره على الخير:

كان – رحمه الله – حريصاً على دعوة الناس من حوله إلى عمل الخير، وكان يشجعهم عليه بكل ما يستطيع، وقد بدأ بنفسه إذ كان قدوة لهم في ذلك.

ولما كانت زوجته – رحمها الله - أقرب الناس إليه، وأكثر الناس تأثراً به وبتدينه والتزامه، كان - رحمه الله - يشجعها على حفظ القرآن الكريم فحفظت ما تيسر منه، ولكنها أقبلت على قراءته فكانت تختمه مرة كل أسبوع، كما كانت تصوم معظم الأشهر الحرم بفضل الله تعالى ثم بفضل تشجيع زوجها – رحمه الله - على ذلك، الذي اصطحبها بدوره في رحلته إلى الحج أربع مرات متتالية.

وفي بيته كان – رحمه الله – قدوة في حسن العشرة ورعاية أهله، فكان حلو اللسان عذب الحديث، عاملاً في ذلك بالتوجيهات النبوية الشريفة في قوله صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي" رواه ابن ماجه في سننه.

وفاته:

عاش المحسن راشد العلبان – رحمه الله – سبعة وسبعين عاماً، زرع فيها من بذور الخير ما استطاع، وتعهدها بالرعاية والسقاية، حتى صارت حديقة غَنّاء، امتدت ظلالها الوارفة يتفيؤها من أراد من أهل الخير. وخطا – رحمه الله - خطوات واسعة على طريق البر، يقفو أثرها من تأثر بقول القائل:

فتشبهواْ إنْ لمْ تكونواْ مثلهمْ إنَ التشبهَ بالرجالِ فلاحُ

فقد توفي المحسن راشد العلبان إلى رحمة الله تعالى في الثامن عشر من ربيع الثاني عام ١٣٩٨هـ الموافق للسابع من أبريل عام ١٩٧٧م، لكن سيرته العطرة ظلت إلى يومنا هذا، ليقفو أولاده وذرياتهم والمحسنون جميعاً أثرها من بعده، بينما يستجيب هو لنداء الله تعالى: "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي(٣٠)" سورة الفجر.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجزاه عما فعل للمسلمين خير الجزاء، وجعل أعماله في ميزان حسناته.

قالوا عنه:

لقد شهد كثيرون للمحسن راشد سعد العلبان بالخير والفضل، عملا بما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – قَال: قَال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وَسَلَّمَ: "اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ" أخرجه أبو داود.

ومن هؤلاء الكاتب عادل محمد عبدالمغني صاحب كتاب: "نواخذة الغوص والسفر في الكويت"، وقد تحدث في صفحات هذا الكتاب عن المحسن راشد العلبان – رحمه الله - كآخر نواخذة السفر والغوص على اللؤلؤ قائلاً: "النوخذة ابن علبان واحد من النواخذة الذين حققوا شهرة في ماضي الكويت ولم تأت شهرته إلا نظراً لتمرسه وخبرته الطويلة وعلاقاته الوثيقة مع رجالات البحر أضف إلى ذلك ومما أثار دهشتي في استمراره ومواصلته للتنوخذ حتى بداية الستينيات...النوخذة راشد العلبان له مساعيه الطيبة لعمل الخير فمن ماله الخاص بنى مسجداً كبيراً في عام ١٩٦٨ في منطقة كيفان، ومن هذا المسجد انطلقت أولى اللجان الخاصة لمساعدة الفقراء والمحتاجين في داخل الكويت"[٤٦].

وأما المؤرخ الكويتي العم سيف مرزوق الشملان فقد أفرد له صفحة في كتابه "تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي"، قائلاً: "آخر نوخذة كويتي كان يزاول مهنة الغوص على اللؤلؤ هو المرحوم راشد بن علبان المتوفي عام ١٩٧٧م، وهو من نواخذة الغوص المعروفين. وترك مهنة الغوص منذ بضع

([46]) نواخذة الغوص والسفر في الكويت - عادل محمد العبد المغني – ص١٠٤، ١٠٥ .

سنوات، وكان يذهب في "لنج" أي سفينة بها محرك لدفعها إلـــى مغاصـــات اللؤلـــؤ القريبة والبعيدة، وكان البحارة الذين يعملون في سفينته من أهل عمـــان، حيـــث إن البحارة الكويتيين تركوا أعمال البحر وتوظفوا في وزارات الدولـــة فـــي وظـــائف مريحة ومثمرة، فارتاحوا بعد ان ذاقوا الأمرين وتكبدوا المشاق والمخاطر في أعمال البحر"[٤٧].

المصادر والمراجع

* مقابلة مع الأستاذة وسمية راشد العلبان ابنة المحسن راشد سعد ساير العلبان.

- سيف مرزوق الشملان – تاريخ الغوص على اللؤلؤ فـــي الكويـــت والخلـــيج العربي – الجزء الثاني – الطبعة الأولى – مطبعة الحكومة – الكويت ١٩٧٨م.

- عادل محمد العبدالمغني – نواخذة الغوص والسفر فـــي الكويـــت – الطبعـــة الأولى – الكويت ١٩٩٩م.

- وزارة الأوقاف والـــشؤون الإســـلامية - إدارة المـــساجد – إدارة الـــشؤون الهندسية.

* وثقت هذه المادة ابنته الأستاذة وسمية العلبان.

([47]) تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي - سيف مرزوق الشملان – الجزء الثاني – الطبعة الأولى – ص ١٤٣.

الحاج سعود عبدالعزيز سلطان الفليج

(١٣٢٥-١٤١٨هـ) (١٩٠٧ – ١٩٩٧م)

المولد والنشأة

ولد المحسن الحاج سعود عبدالعزيز سلطان الفليج بمنطقة القبلة (جبلة) في دولة الكويت عام ١٣٢٥هـ الموافق لعام ١٩٠٧م.

نشاء في كنف أسرة طيبة اشتهرت في دولة الكويت بالجود والكرم والأخلاق الحسنة، فقد عرف أبناء أسرة الفليج في داخل الكويت وخارجها بكثرة أعمالهم

الخيرية، وقد كان الحاج سعود الفليج – رحمه الله - أحد رموز العطاء وحب الخير في هذه العائلة الكريمة، كما سيتبين من خلال هذه السيرة العطرة.

تعليمه

درس في مدرسة ملا هاشم الحنيان وتعلم فيها قراءة القرآن الكريم والقراءة والكتابة وشيئاً من الحساب، ثم انتقل بعدها إلى مدرسة المباركية بعد افتتاحها كأول مدرسة نظامية في الكويت في بداية عام ١٣٣٠هـ.

وكان سعود الفليج - رحمه الله - مطلعاً ذا ثقافة دينية عميقة، حتى إنه كان يستشهد بآيات من القرآن الكريم في أحاديثه، ويعضد أقواله كذلك ببعض أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - وفق ما ذكره ابنه موثق هذه السيرة العطرة - مما يدل على حبه لكتاب الله تعالى وحسن فهمه لآياته وقدرته على استحضارها واستظهارها في المواقف المناسبة، وهذه هبة ونعمة لا يعطيها الله إلا لمن يحبه من عباده، كما كان دائم الصلاة في المسجد طوال سنى حياته، مبكراً إلى الصلاة قارئاً للقرآن الكريم حتى تقام الصلاة.

زواجه وأسرته

اهتم سعود الفليج – رحمه الله – بالعمل والتجارة في سن مبكرة من حياته وأخلص لعمله هذا لدرجة أنه نسي فكرة الزواج فترة من حياته، حيث تزوج عام ١٩٣٦م، وكان عمره آنذاك ٢٩ عاماً، وكانت تعتبر سناً كبيرة على الزواج في ذلك الوقت، وقد تزوج من ابنة المرحوم حمد ناصر الغانم.

وقد رزقه الله تعالى بأحد عشر ولداً: خمسة ذكور هم عبدالعزيز وفيصل ومحمد وغازي وحمد، وستاً من البنات، وله من الاحفاد ٢٤ حفيداً ذكوراً وإناثاً.

تجارته

كان المحسن سعود الفليج - رحمه الله – محباً للتجارة منذ صـــغره راغبـــاً فيهـــا حريصاً على مزاولتها، لدرجة أنه سافر إلى الهند عام ١٩٢٢م، وكان لا يزال فـــى الخامسة عشرة من عمره.

فكان يعمل في تجارة التمور؛ يشتريها من البصرة ويرسلها إلى الهند، ويستورد من هناك البضائع المتنوعة كالأقمشة والحبوب المختلفة كالأرز والماش والعدس وغيرها للكويت والبصرة.

وقد أقام فترة بمدينة كراتشي – التي كانت تابعة للهند آنذاك – ثم فتح بهـــا مكتبـــاً تجارياً لإدارة أعماله هناك عام ١٩٤٠م، وذلك بالتنسيق مع إخوته فى الكويت، وهم المرحوم فهد عبدالعزيز الفليج، والحاج يوسف عبدالعزيز الفليج، والمرحوم أحمـــد عبدالعزيز الفليج، وكان يُصدر بضائعه من ميناء كاليكوت فى الساحل الغربي للهند.

وقد أقام في مدينة كراتشي ثماني سنوات: منذ عام ١٩٤٣، حتى عام ١٩٥٠م، كان حريصاً خلالها على عمل الخير قدر استطاعته، فكان يساعد العديد مـــن الهيئـــات واللجان الخيرية الموثقة في المدينة، والتي أشرف عليها لتنفيذ بعض المـــشروعات الخيرية.

عاد – رحمه الله – بعد ذلك إلى الكويت عام ١٩٥٢م، ليستقر بها ويزاول عمله في التجارة العامة من خلال مكتب العائلة التجاري بمشاركة إخوته، وهو مكتب معروف في سوق المناخ سابقاً.

صفاته وأخلاقه

تمتع المحسن الكريم سعود الفليج – رحمه الله – بالعديد من الصفات الرائعة التـــي ربما لا يتسع المجال لذكرها جميعاً، ومن أهمها حرصه على صلاة الجماعة، حيث كان - رحمه الله – عارفاً لفضل صلاه الجماعة في المسجد، فحرص عليها رغبـــة

في كثرة الثواب، ومضاعفة الحسنات، فكان من رواد مسجد حمد عبدالمحسن العتيقي ومسجد أبي بكر الصديق (قطعة ٥ بمنطقة الشامية)، وكذلك كان يفعل عندما يسافر إلى الهند أو أي مكان آخر، إذ لم تكن تلهيه التجارة عن ذكر الله وإقام الصلاة.

ولم يكن محافظاً عليها وقت شبابه وصحته فحسب، بل أيضاً بعدما كبرت سنه وداهمه المرض، حتى إنه في الأسابيع الثلاثة الأخيرة قبل وفاته لم ينقطع وكان يصلي على فراشه رغم اشتداد مرضه.

واتصف أيضاً بحفظه لأعراض وحرمات الآخرين، فلم يكن يتكلم ولا يحب أن يتكلم أحد عن غيره، كما كان - رحمه الله - دمث الأخلاق متواضعاً محبوباً من الجميع، وقد صدق الشاعر الذي قال:

إذا رمت أن تحيا سليماً من الردى ودينك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساوئاً فصنها وقل يا عين للناس أعين

كما عُرف عن المحسن سعود عبدالعزيز الفليج - رحمه الله - استقامته منذ شبابه، وهي عند الشباب خلق نادر، ولعل استقامته كانت سبباً في حب الناس له ونجاح تجارته.

ومما عُرف عن المحسن سعود الفليج – رحمه الله – أيضاً الحكمة والروية والحزم، وحكمة التاجر ورزانته وترويه في اتخاذ القرار وحزمه في تنفيذه، سبب كبير - بعد توفيق الله تعالى – في زيادة نشاطه واتساع عمله، وقد كان المحسن سعود عبدالعزيز الفليج - رحمه الله - مصيباً وموفقاً في معظم قراراته، بتوفيق من الله تعالى.

كما عرف – رحمه الله – بنخوته وفزعته وشهامته ووقوفه إلى جانب الحق، فكان يقول الحق ولوعلى نفسه، وكان هذا سبباً في زيادة محبيه الذين كان يستقبلهم في

ديوانه، ويعرفهم جميعاً؛ لما اتصف به من قوة ذاكرته وسرعة تذكره للأشخاص والأحداث جميعاً.

كما عُرف عنه – رحمه الله - أنه كان متعاوناً على الخير مع جميع من يعرفهم، وخاصة مع إخوانه من أهل الخير، مما يدل على فهمه لأخلاق الإسلام وعمله بقول الله تعالى: "... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ..(٢)" سورة المائدة .

ومما اتصف به - رحمه الله – الصدق والأمانة والنزاهة، وهي بين التجار خلق عظيم، لأنها رأسمال التاجر وسمعته بين الناس، وقد تحلى المحسن سعود الفليج – رحمه الله – بتلك الصفات، فربحت تجارته وحسنت سمعته وأحبه الناس جميعاً.

أوجه الإحسان في حياته

إن رجلاً كالمرحوم سعود الفليج – رحمه الله - اتصف بما ذكرنا من الصفات الحميدة وتخلّق بهذه الأخلاق الطيبة لابد أن تتعدد أوجه إحسانه وتكثر مجالات بره وعطائه، فقد كان عاملاً بقوله تعالى: "وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)" سورة البقرة.

فكانت له – رحمه الله - علاقات جيدة باللجان الخيرية داخل الكويت وخارجها، بل إنه كان يمثل إحدى الدعامات الرئيسة لهذه الجمعيات واللجان من خلال دعمه الدائم لها.

بناء المساجد

أدرك - رحمه الله - أهمية المساجد ودورها الخلاق ورسالتها السامية في بناء الأجيال وصناعة الرجال وتطهير القلوب وغفران الذنوب، فكان حريصاً على نيل

هذا الثواب من الله الرحيم التواب، وليس أفضل من إقامة مسجد لله تعالى، يُذكر فيه اسمه بالغدو والآصال، ويتربى فيه الشباب والنشء والرجال على نور الرحمن، قال الله تعالى في كتابه العزيز:

"إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)" سورة التوبة.

وقد وفقه الله تعالى إلى بناء عدة مساجد في داخل الكويت وخارجها:

أولاً: داخل الكويت:

مسجد بجليب الشيوخ

عندما لمس المحسن سعود الفليج - رحمه الله - حاجة أبناء منطقة جليب الشيوخ في محافظة الفروانية لمسجد يؤدون فيه صلواتهم ويتوجهون فيه إلى خالقهم ورازقهم بالدعاء والرجاء والتوبة والإنابة وصالح الأعمال، قام ببناء مسجد في المنطقة في السبعينيات، بالتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد سمي هذا المسجد بإسم مسجد فهد الفليج وإخوانه، ويجري حالياً توسعة المسجد وترميمه من ثلاث جهات، ليتسع لأكبر عدد من المصلين، حيث تكتظ هذه المنطقة بالسكان من المواطنين وكم كبير من المقيمين.

المواصفات العامة للمسجد

- المساحة الكلية للمسجد ٨٥٠ متراً مربعاً
- يتسع المسجد لعدد ٥٠٠ مصلٍّ من الرجال تقريباً.
- ارتفاع المئذنة ١٤ متراً.
- بني المسجد على الطراز العادي.

ثانياً: خارج الكويت:

لم يقتصر خيره – رحمه الله – على أبناء بلده فحسب، بل حرص علـــى أن يمتـــد عطاؤه إلى إخوان له في الدين، هم أيضاً في حاجة إلى العون والمساعدة، وكله أمل في الله تعالى أن يكون هذا العمل وكل أعماله في سبيل الله تعالى شهوداً له، وأثقالاً في ميزان حسناته يوم القيامة، فتبنى – رحمه الله – مهمة بناء مسجدين على نفقتـــه هما:

مسجد في الهند

كان المحسن سعود الفليج – رحمه الله – تاجراً معروفاً في الهند، وله مكتب هنـــاك يملكه مع إخوته، ولذلك فقد لمس حاجة إخوانه المسلمين هناك إلى مسجد، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون البناء لعدم توافر المال لديهم، ولكـــونهم أقليـــة، ولعـــدم اهتمـــام الحكومة الهندوسية بحاجة تلك الأقلية المسلمة، فبادر– رحمه الله – من فوره بإنشاء مسجد هناك على نفقته، راجياً ثواب الله تعالى على هذا العمل المبارك، الذي قام به – رحمه الله – مساعدة لإخوانه المسلمين على آداء شـــعائرهم الدينيـــة وتعميـــرهم للمساجد التي تعتبر بالنسبة لهم منارات علمية وفكرية، بالإضافة إلى تآلف قلـــوبهم في ظل الظروف التي آشرنا إليها آنفاً، قال صلى الله عليه وسلم: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُـــؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ" رواه البخاري.

مسجد في نيبال:

لما كانت ظروف المسلمين في النيبال شديدة الشبه بظروف إخوانهم في الهند، مـــن ناحية الحاجة وكونهم أقلية، قام رحمه الله بتأسيس مسجد هناك بالتنسيق مع إحـــدى الهيئات الإسلامية، وأطلق عليه اسم زوجته الفاضلة "شيخة حمد الغانم" رحمها الله، وفاءً لها على وقوفها بجانبه في مسيرة حياته، ورغبة في نيلها الأجر والثواب مـــن الله تعالى.

التبرع للجمعيات الخيرية

وقد مثّلَ هذا العمل وجهاً آخر من أوجه البر والإحسان المتميزة في حياه المحسن سعود الفليج – رحمه الله - حيث لمس حاجة المسلمين إلى العون والمساعدة وتوفير الطعام والملبس والمأوى، فلم يتردد في تقديم العون لهم، ليس من خلال جمعية خيرية أو اثنتين بل من خلال ٥٨ لجنة خيرية تعمل في دولة الكويت ,في الهند وباكستان لصالح المسلمين، حسب إفادة ابنه موثق هذه السيرة العطرة.

وكان يحرص على أن يقدم تبرعاته وخيراته بنفسه وبشكل مباشر، بل بلغ إصراره وحرصه على عمل الخير درجة عجيبة، لدرجة أنه عندما تعطل البريد بعد تحرير دولة الكويت، قام بإصدار التحويلات المالية من الكويت وإرسالها عبر دبي، واستمر على ذلك الحال حتى توفاه الله تعالى، القائل في كتابه العزيز:

"الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)" سورة البقرة

المساهمة في الأمانة العامة للأوقاف

عرفت دولة الكويت الوقف منذ نشأتها تأكيداً لما جُبل عليه أهلها من حب للخير الدائم والأجر المستمر، وأول وقف عرف في الكويت كان مسجد بن بحر الذي أسسه إبراهيم البدر عام ١٦٧٠م، أي منذ ٣٣٢ سنة، وأول وقف يدر ريعاً للصرف على الخيرات العامة كان وقف المرحوم خليفة بن سنان الذي نشأ سنة ١٢٣٠هـ.[٤٨]

[48]) مسجد بن بحر يطلق عليه مسجد بن إبراهيم، أعاد بناءه المرحوم عبدالله بن علي البحر عام ١٧٦٥م وأوقفت لصالحه عدة أوقاف أخرى. (المرجع كتيب مساجد منطقة جنوب السرة‌ى والسيرة الذاتية لواقفيها).

ولما كان المحسن سعود بن عبدالعزيز الفليج حريصاً على جريان الخير بعد وفاته فقد ساهم بمبلغ وقفي في الأمانة العامة للأوقاف، عسى الله أن يجعله في ميزان حسناته يوم الحساب.

وقد كان - رحمه الله - حريصاً على الإنفاق بكثرة في مجال الصدقات والخيرات، وعدم الإعلان عنها، حرصاً منه على زيادة الأجر والثواب، ولذلك فإن المعلومات التي حصلنا عليها عن أعماله الخيرية قليلة، وقد ذكرنا منها ما عرفناه وعلمه أبناؤه فقط.

دوره الوطني

بلغ الحاج سعود الفليج – رحمه الله - من الإيمان بحب الوطن والدفاع عنه مبلغاً عظيماً، فكان من المرابطين إبان فترة الاحتلال العراقي الغاشم لدولة الكويت رغم كبر سنه واعتلال صحته، وعاش خلال فترة رباطه مرفوع الرأس قوي الشكيمة، مدافعاً عن وطنه ومسانداً لأبنائه بكل ما يملك لتحرير الوطن الغالي، ولم تفتّ في عضده تقلبات الأحداث الجسام في تلك الفترة الصعبة من تاريخ الكويت، ومما يذكر عنه أنه قدم الدعم المادي للمرابطين الصامدين في دولة الكويت أثناء الأزمة.

وقد ساهم – رحمه الله – بجهد مميز في دعم صمود الأسر الكويتية المرابطة في داخل الوطن أثناء الإحتلال الغاشم، وموقفه الكريم في هذا الصدد يرويه شاهد عيان في ذلك الوقت، وهو الدكتور عبدالمحسن الخرافي رئيس اللجنة المالية التابعة للجان التكافل بمنطقة الشامية خلال الاحتلال العراقي الغاشم، والتي كانت تنسق تدفق السيولة بالدينار العراقي إلى العائلات الكويتية المرابطة في أرض الوطن أن المرحوم سعود عبدالعزيز الفليج كان أحد التجار الكويتيين القدوات في دعم الصمود الكويتي، وذلك حين سلم له مبيعات مخازنه بمئات الآلاف من الدنانير العراقية، بلا ضمان سوى الثقة بعودة الكويت، وورقة من قيادة المقاومة تشهد باستلام لجان

التكافل منه هذا المبلغ المعين، والذي تكفلت حكومة الكويت في المنفى بإعادتها إلى كل تاجر يقوم بعمل مماثل في سبيل الوطن.

وقد كان لهذه السيولة النقدية وتدفقها أكبر الأثر في دعم صمود الأسر الكويتية في ظل العصيان المدني الذي نفذه جميع أفراد الشعب الكويتي بلا أستثناء.

وبالفعل صبر المحسن الحاج سعود الفليج – رحمه الله – حتى ظفر بالحسنيين: عودة الوطن – التي لا يساويها شيء ولا يعدلها ثمن، وعودة رأسماله الذي قدمه عن طيب خاطر لمساعدة إخوانه أهل الكويت المرابطين من خلال لجان التكافل، متجرداً بعمله هذا لله تعالى، وعاملاً بقول رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى" رواه البخاري.

ذريته *الطيبة*

لقد أنعم الله تعالى على المحسن الكريم الحاج سعود الفليج – رحمه الله - بعمل الخير في حياته، ورزقه بالذرية الطيبة التي تشربت منه حب الخير واقتفت خطواته في عمل المشروعات الخيرية في داخل الكويت وخارجها، فكانت امتداد لأعماله الخيرية إلى يومنا هذا، فقد بارك الله تعالى في أولاده وبناته على السواء ليكونوا مثالاً طيباً للذرية الطيبة، وكأنا به يدعو ربه بدعاء زكريا عليه السلام، قال تعالى:

"هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء (٣٨)"

سورة آل عمران.

- ابنه فيصل سعود الفليج: أسس مستشفى فيصل سعود الفليج للغسيل الكلوي في مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ بمصر، وهو مستشفى مكون من طابقين وبتكلفة قدرها مليون ومائتي ألف جنيهاً مصرياً.[٤٩]

- ابنه المرحوم محمد سعود الفليج: أسس عدة أعمال خيرية ومنها مسجد بمنطقة قرطبة بدولة الكويت، وترك ثلثاً خيري تأسس منه عدة أعمال منها مجمع بمنطقة الخيالة في القاهرة، بتكلفة قدرها ٧٥٠ ألف جنيهاً مصرياً، وهو مجمع ضخم مساحته ٦٠٠ متراً مربعاً ومكون من طابقين يضم مسجدا ومصلى للسيدات ودار مناسبات ومئذنة ٣٠ متراً وخدمات أخرى، وقد تم افتتاحه عام ٢٠٠٢م.[٥٠]

- ابنه غازي سعود الفليج: أسس مجمعين إسلاميين، الأول في منطقة التبين بالقاهرة، بتكلفة قدرها ٣٥٠ ألف جنيهاً مصرياً،[٥١] والثاني هو مجمع غازي الفليج في القرطبيين بالجيزة في مصر أيضاً، بتكلفة قدرها ٤٠٠ ألف جنيهاً مصرياً، وكل منهما يضم مسجد ومصلى للنساء ومئذنة ويقدم خدمات أخرى عديدة للمسلمين هناك،[٥٢] كما تبرع لبناء مسجد في كلية هندسة المطرية بالقاهرة.[٥٣]

- ابنته نسيمة الفليج: أسست مجمع في منطقة برطس بمدينة إمبابة في محافظة الجيزة، ويضم مسجد ودار مناسبات وخدمات أخرى، بتكلفة ٤٠٠ ألف جنيها مصريا، وتم افتتاحه بحضور وزير العدل ووزير الأوقاف الكويتي ومحافظ الجيزة

([49]) التقرير السنوي للمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة التابع لبيت الزكاة - عام ٢٠٠١م – ص ٢٩.

([٥٠]) التقرير السنوي للمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة - عام ٢٠٠٠م – ص ١٩، وتقرير عام ٢٠٠٢ ص ١٨،٢٤.

([51]) التقرير السنوي للمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة - عام ٢٠٠٠م – ص ١٩.

([52]) التقرير السنوي للمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة - عام ٢٠٠١م – ص ٢٩.

([53]) التقرير السنوي للمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة - عام ٢٠٠٢ – ص ٣٢.

عام ٢٠٠١م، وأنشأت كذلك مسجداً في نزلة بشير بمحافظة الفيوم بمصر، بتكلفة قدرها ٢٠٠ ألف جنيهاً مصرياً.[٥٤]

- ابنته مريم سعود الفليج: أسست مسجداً في منطقة أسنيت بمدينة كفر شكر في محافظة القليوبية، ويضم مسجد ومصلى للسيدات ومئذنة وخدمات أخرى.[٥٥]

- ابنته منى سعود الفليج: أسست مجمعاً متكاملاً في منطقة عين حلوان بالقاهرة، بتكلفة قدرها ٤٠٠ ألف جنيهاً مصرياً، ويضم مسجدا ودار مناسبات وخدمات أخرى، وقد تم افتتاحه عام ٢٠٠١م بحضور وزير العدل والأوقاف الكويتي وفضيلة مفتي جمهورية مصر العربية وأخوها السيد غازي الفليج.[٥٦]

- زوجته المرحومة شيخة حمد ناصر الغانم: من مالها تأسس مسجد في جامعة حلوان بالقاهرة، يجري تنفيذه حالياً باشراف ابنها غازي الفليج.[٥٧]

وفاته:

بعد حياة مديدة وعمر ناهز التسعين عاماً، كانت مليئة بأعمال الخير، وبعد صراع مع المرض لم يطل أكثر من ثلاثة أسابيع، أجاب المحسن سعود عبدالعزيز الفليج نداء ربة تعالى: "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)" سورة الفجر.

([54]) التقرير السنوي للمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة - عام ٢٠٠٠ - ص ١٩، وتقرير عام ٢٠٠١ (ص ٣٢).

([55]) التقرير السنوي للمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة - عام ٢٠٠٢ – ص ٢٩.

([56]) التقرير السنوي للمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة - عام ٢٠٠٠م (ص ١٩)، وتقرير عام ٢٠٠١ (ص ١٠،١٦).

([57]) التقرير السنوي للمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة - عام ٢٠٠٢ – ص ٢٩، ٣٠.

وقد توفي – رحمه الله – في دولة الكويت في الرابع من رجب عـــام ١٤١٨هـــــ، الموافق للرابع من نوفمبر عام ١٩٩٧م، تاركاً وراءه الذكر الحسن والسمعة الطيبـــة من خلال أصدق الأدلة وأقوى البراهين على بره وإحسانه وجوده وكرمه.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجعل أعماله في ميزان حسناته.

المصادر والمراجع

* مقابلة مع عبدالعزيز وفيصل وغازي سعود الفليج، أبناء المرحوم الحاج سعود الفليج.

- مقال للأستاذ عصام الفليج بعنوان "رحيل الكبار عـــن أهـــل الـــديار" بجريدة الوطن يوم
١٩٩٧/١١/١٦م.

- مجلة العطاء - بيت الزكاة – الكويت.

- كتيب مساجد منطقة جنوب السرة والسيرة الذاتية لواقفيهـــا – الأمانـــة العامة للأوقاف – الإصدار الأول – الكويت ٢٠٠٢-٢٠٠٣م.

- وزارة الأوقاف والـــشؤون الإســـلامية – قطـــاع المـــساجد – إدارة الـــشؤون الهندسية.

* وثق هذه المادة ابنه الأكبر عبدالعزيز .

عبداللطيف سليمان العثمان[٥٨]
(١٢٨٤-١٣٧٨هـ) (١٨٦١-١٩٧٣م)

المولد والنشأة:

ولد المحسن عبد اللطيف سليمان العثمان في عام ١٢٨٤هـ الموافق لعام ١٨٦٧م، في فريج سعود بدولة الكويت. وهو من كبار نواخذة الكويت، وأحد أشهر النواخذة المعروفين بالخبرة الملاحية والحكمة وسعة الصدر، عمل في مهنة التنوخذ ٣٣ عاماً، ووصل إلى سواحل شط العرب والخليج والهند وزنجبار وسواحل إفريقيا.

وقد نشأ – رحمه الله – في أسرة عركت البحر وأتقنت فنون الملاحة، فكانت سفنها تمخر عباب البحار والمحيطات، وتميز نواخذة السفر الشراعي من عائلة العثمان بإتقان عملهم

١- تم تحرير هذه السيرة في ضوء محتويات كتاب "عائلة العثمان .. مدرسة السفر الشراعي في الكويت" نظراً لتطابق أجزاء كثيرة من مادته، والجزء الخامس من سلسلة "محسنون من بلدي" وكون مؤلف الكتاب هو مستشار التحرير في السلسلة ومصادره في المعلومات واحدة في كلا الإصدارين.

وحرصهم على تعليم بعضهم، حتى توارثوا هذه المهنة وتناقلوها، وقدموا الكثير من الخدمات والأعمال الجليلة للكويت وأهلها.

وقد جاء أجداد هذه العائلة من نجد، وسرعان ما تأقلموا مع البيئة البحرية الجديدة فعملوا في البحر حتى امتلكوا السفن ليكونوا قادتها، وأصبح للعثمان عدة بيوت وأصبح لكل رب عائلة سفنه الخاصة به وتقف عادة أمام عمارته. وفي هذا دلائل واضحة على التمكن البحري والتفوق الإداري والمالي الذي كان نتيجة طبيعية للتفوق البحري للعائلة.

وليس بغريب لهذا السبب أن يتعارف الناس على تسمية عائلة العثمان باسم العثمان النواخذة تمييزاً لها عن العائلات الأخرى التي تشتهر بالاسم نفسه، وذلك لكثرة من ظهر من بينهم من كبار نواخذة السفر الشراعي في تاريخ الكويت منذ بداية قدومهم من نجد إلى الكويت واستقرارهم بها.

فقد سلم كل جيل راية قيادة السفن إلى الجيل الذي يليه من خلال التدريب العملي والاحتكاك اليومي والمعايشة المباشرة؛ حيث الإقبال الشديد على مهنة "التنوخذ" من قبل رجالات هذه العائلات وبالتالي تشجيع أهلهم إياهم على تعلم هذه المهارة وامتلاك هذه الملكة.

وقد أنجبت عائلة العثمان سبعة عشر نوخذة، كان الثالث منهم المترجم له النوخذة عبداللطيف سليمان العثمان، وولديه النوخذة أحمد عبداللطيف سليمان العثمان (١٩٢٣م)، والنوخذة داوود عبداللطيف سليمان العثمان أصغر نواخذة العثمان سناً (١٩٢٩م).

وقد حذق النواخذة من عائلة العثمان في صناعة ركوب البحر. ولعل المؤشر الأوضح على ذلك هو ضخامة عدد السفن التي امتلكوها وأهمها: مساعد، وموافج (الأول) وحمولتها ١٤٠٠ من، وموافج (الثاني) الذي تم بناؤها على إثر غرق موافج

الأول في اليمن عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)، وكان من أفضل خشب[٥٩] الكويت وأطولها عمرًا، وتيسير التي تم بناؤها في بداية الحرب العالمية الأولى، وهي من أكبر سفن الكويت آنذاك وكانت حمولته ٥٠٠٠ "مَنْ" تقريباً، وفتح الكريم، وفتح الرحمن وحمولتها ٤٠٠٠ من، والعثماني وحمولتها ٢٥٠٠ من، وفتح الباري وحمولتها ٢٣٠٠ من، والباز، والمحمدي (الأول)، والمحمدي (الثاني)، والسالمي، وسهيل.

فضلاً عن بعض أبوام الماء التي لم يحفظ التاريخ أسماءها لأنها كانت تستخدم لجلب الماء من شط العرب إلى جون الكويت فقط.

رعاية الله له

كانت عين الله تعالى ترعى المولود عبداللطيف سليمان العثمان منذ صغره، ومن عجيب ما يروى في ذلك أنه نزلت أمطار شديدة أحالت البيوت المتهالكة – آنذاك – أنهاراً، وكان عمره أربعة أشهر.

وكانت أمه قد وضعته داخل طبق مصبوغ بالقار لحفظه من الماء الذي وصل إلى أرضية الغرفة، ثم ذهبت لمساعدة أفراد أسرتها، وبينما هي بعيدة عن رضيعها، ازداد فيضان الماء وأخذ يرتفع في أرضية الحجرة رويداً رويداً، واتجه ناحية حوش (فناء) المسكن، وفوقه الطبق الذي يحمل الطفل، وكاد أن يخرج من البيت، لولا عناية الله تعالى التي جعلت الطبق "ينحشر" في الباب، وهنا هبت والدته لنجدته في اللحظة المناسبة.[٦٠]

---

(٥٩) الخشب:السفن، وربما أطلق هذا الاسم على السفن لكونها مصنوعة من الخشب بشكل كامل حيث لم تدخل المعادن سوى في صناعة أجزاء بسيطة جداً منها وأهمها المسامير.

(60) روى هذه القصة حفيده السيد حامد صالح عبداللطيف العثمان.

وفي مقابلة تليفزيونية تاريخية معه تحت عنوان (صفحات من تاريخ الكويت)، تحدث عن إحدى رحلاته البحرية مع خاله عبدالعزيز حين هاجمهم قراصنة في شط العرب يعرفون باسم "الدقاقة"، وكيف أن الله سلّمهم من شرهم فعادوا إلى أهلهم بسلام بعد تبادل إطلاق النار معهم.

تعليمه:

تلقى – رحمه الله – العلم في مرحلة مبكرة من حياته في مدرسة الملا سيد هاشم الحنيان التي كانت قرب السوق، فتعلم فيها علوم القرآن والكتابة والقراءة وشيئاً من الحساب، ومن أساتذته المعروفين في ذلك الوقت الملا هاشم الحنيان.

وقد كان – رحمه الله - محباً للبحر منذ صغره، راغباً في ارتياده، ومصارعة أمواجه، فتعلم من خاله النوخذة عبدالعزيز بن عثمان، ومن النواخذة الكبار آنذاك، أصول الملاحة وفنونها، حتى نبغ فيها وخبرها خبرة كبيرة.

وقد رعاه خاله عبدالعزيز العثمان ودّربه على قيادة السفن الشراعية حتى أصبح بعد ثلاث سنوات قائداً للدفة (سكوني) مع خاله عبدالعزيز. ولما أتم الثامنة عشرة من عمره أصبح نوخذا، يقود سفينة صغيرة للقطاعة داخل الخليج.

زواجه:

تزوج المحسن عبداللطيف العثمان – رحمه الله – مرتين ورزقه الله تعالى بتسعة من الولد: خمسة ذكور وأربعة من الإناث، وقد توفيت إحداهن وهي صغيرة.

فقد تزوج ابنة خاله فاطمة عبدالعزيز العثمان (أم أحمد)، وكانت صاحبة فضل وحسن سياسة وتدبير، وقد كانت تدير كافة شئون بيت الحمولة (العائلة الكبيرة) الذي سكنت فيه أربع أسر، وقد كانت تتميز بحسن الإدارة وحسن العبادة إذ استطاعت -

رحمها الله – أن تقوم بكافة شئون المنزل وإدارته في حين أنها تقضي أغلب أوقات فراغها وهي على سجادة الصلاة تصلي أو تنتظر الصلاة، سواء في الليوان (الممر) أو في غرفتها.

كما تزوج النوخذة عبداللطيف سليمان العثمان فاطمة محمد السبيعي (أم سليمان) التي اشتهرت بورعها وتقاها، وقد كانت تؤم النساء في صلاتي العشاء والتراويح في بيتها، وينتظم خلفها حوالي عشرون امرأة. وقد كانت رحمها الله محبوبة محبة للناس تتفقد وصول خشب (سفن) أهل الكويت كافة ولا تكتفي بالسؤال والاطمئنان على وصول خشب العثمان فقط، وكان سؤالها المعتاد: "مِنْ بَيَّن من الخشب؟".

ويعد ابنه النوخذة أحمد عبداللطيف سليمان العثمان المولود في ١٩٢٣م، أحد نواخذة عائلة العثمان الذي درّب أخوه النوخذة المعروف داوود عبداللطيف العثمان المولود في عام ١٩٢٩م، والمتوفى في ١٩٩٨/١/١٩م، حيث يقول النوخذة أحمد عبداللطيف العثمان العبارة المشهورة عن البحارة الكويتيين: "اندب رجال ولا تندب دراهم" حين يتعرضون للمتاعب.

وكذلك ابنته موضي عبداللطيف العثمان وهي زوجة النوخذة القدير عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان.

صفاته وأخلاقه:

الأخلاق الحسنة ميزان الرجل المسلم، وقد اتصف - رحمه الله - بالعديد من الصفات الحميدة والأخلاق الفضيلة منها عفة اللسان، وهي أعظم دليل على حسن الخلق واستقامة الضمير، فلم يكن يعرف عنه – رحمه الله - ذكره أو تلفظه بألفاظ تسيء إلى الآخرين أو تقلل من شأنهم، بل كان معروفاً عنه عفة اللسان، وكان متأسياً في ذلك بأخلاق القرآن الكريم ووصايا سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

الذي أوصى بالتعفف في القول، وحفظ اللسان، الذي كثيراً ما يورد صاحبه المهالك، قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: "...وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟" رواه الترمذي.

كما كان – رحمه الله – نزيهاً في تعامله مع الناس، صادقاً في قوله وعمله ووعده، وقد صدق الجميع فصدقوه، متمسكاً بقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا وَلا يَزَالُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا" رواه أحمد في المسند.

عمله وتجارته:

تسلم النوخذة عبداللطيف قيادة سفن خاله عبدالعزيز مثل "موافج" و"تيسير". ولعل رحلاته على البوم "تيسير" من الرحلات التاريخية الموفقة. فقد قاد هذه السفينة بكفاءة ومهارة، ووصل بها إلى معظم موانئ الساحل الغربي للهند. وكان خلال رحلاته هذه يدرب أقاربه على فنون الملاحة وقيادة السفن الشراعية، حتى أصبح هؤلاء من نواخذة الكويت المتميزين. وكانت السفينة تيسير مدرسة آل العثمان البحرية.

وقد استطاع عبداللطيف سليمان العثمان، أن يملك أكثر من سفينة "سفر" إلى الهند وزنجبار وعدن تحمل الأخشاب والتمور والأقمشة وغيرها من البضائع بين الكويت والموانئ الأخرى.

ويعتبر بوم عبداللطيف العثمان الذي يحمل اسم "فتح الرحمن" من أشهر أربعة مراكب كانت ملكيتها تعود إليه في عام ١٩٣٦م. وبه نوخذا وبحارة يعملون لصالح مالكه، كما أنه كان لدى عبداللطيف العثمان مركب آخر اسمه "فتح الخير" بالإضافة إلى سفينتين للسفر، ولم تكن لديه سفن للغوص.

استمر النوخذة عبداللطيف يقود السفن الشراعية التابعة للعائلة حوالي ٣٣ عاماً ترك بعدها قيادة السفن في عام ١٩٣١م، وتسلم النوخذة عبدالوهاب قيادة البوم "تيسير" بدلاً منه، بينما تفرغ النوخذة عبداللطيف لترتيب الأمور التجارية للعائلة، فكان يسافر إلى البحرين حين يعلم بوصول سفنهم ويخلص أمورها التجارية، ويودعها في رحلة العودة إلى الكويت.

وقد أنشأت أول عمارة[٦١] لعائلة العثمان حوالي عام ١٨٨٥م، وتقع على البحر في فريج العثمان مقابل نقعة العثمان، وقد كان ابنه المرحوم الحاج سليمان عبداللطيف العثمان[٦٢]، يدير كلاً من العمارة والمكتب التجاري، المسؤول الأول عن جميع إيرادات السفن واحتياجاتها ومصروفاتها، وكذلك جميع الأعمال التجارية داخل الكويت وخارجها من أخشاب وتمور وبضائع مختلفة. ومن بعده باشر أخوه المرحوم صالح عبداللطيف سليمان العثمان[٦٣] إدارة المكتب التجاري.

خبرته ودرايته البحرية:

في مقابلة تلفزيونية أجريت معه عام ١٩٦٦م ذكر النوخذة عبداللطيف معلومات قيمة، تدل على خبرته ودرايته البحرية، من خلال قصة حدثت له عندما ترك السفر الشراعي وكان راجعاً في باخرة مع صديقه محمد ثنيان الغانم. فقد التبس الأمرعلى قبطان الباخرة، وهو بالقرب من البحرين، فلاحظ ذلك النوخذة عبداللطيف الذي همس في أذن صديقه محمد ثنيان، فما كان من صديقه إلا أنه أرسل من يقول

(61) العمارة هي المتاجر "عمايِر" ومفردها "عمارة" والعمارة عبارة عن بيت عربي كبير أو حوش يستخدم كمخزن لوضع هذه المواد فيه، ويوجد لكل عمارة عادة مدخل متصل بالمتجر المواجه للبحر في معظم الأحيان، والذي تعرض فيه نماذج من البضاعة أمام الباب وداخله.

(62) ولد المرحوم سليمان عبداللطيف سليمان العثمان في عام ١٨٩٨م، وتوفي في عام ١٩٦٩م.

(63) ولد المرحوم صالح عبداللطيف سليمان العثمان في عام ١٩٢٤م، وتوفي عام ٢٠٠٢م.

للقبطان إنه مخطئ في مساره، فأرسل القبطان في طلب النوخذة عبداللطيف، وتحدث معه فعرف أنه أمام ملاح ماهر وحاذق، فقد ثبت صحة ما قاله بعد ذلك.

أوجه الإحسان في حياته:

الإحسان طريق الجنة.. أمر الله به، وحث عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتحلى به كل مؤمن صادق الإيمان، قوي الثقة فيما عند الله تعالى، وقد حرص المحسن عبد اللطيف العثمان – رحمه الله – على بذل المعروف وتقديم الخير، ابتغاء مرضاة الله تعالى، فكان - رحمه الله - رائداً في عمل الخير والإنفاق في سبيل الله تعالى، خصوصاً في المناطق الفقيرة.

عمارة المساجد:

اجتهد النواخذة من عائلة العثمان في عمارة بيوت الله تعالى، فحرصوا على أن يبنوا بيوتاً لله تعالى كلما سنحت لهم الفرصة، واضعين نصب أعينهم ذلك البيت الذي سيبنيه الله عز وجل لكل واحد منهم في الجنة بفضله ومنِّه وكرمه وإذنه تبارك وتعالى، لقوله الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ" رواه ابن ماجه.

وعائلة العثمان من أكثر العوائل التي ظهر منها نواخذة سفر، وظهر منها أيضاً أكبر عدد للمساجد بنته رجالات ونساء من عائلة واحدة في الكويت، ومن ضمن بيوت الله تعالى التي بناها آل العثمان الكرام وتم حصرها داخل الكويت تسعة مساجد منها مسجد المحسن عبداللطيف سليمان العثمان في ضاحية عبدالله السالم، وفي خارج الكويت بنوا أربعة مساجد، اثنان منها للمحسن عبداللطيف العثمان.

مسجد عبداللطيف العثمان بضاحية عبدالله السالم:

خير بقاع الأرض المساجد، وبناء المساجد من أقرب القربات وأفضل الأعمال عند الله تعالى، وأثقلها في ميزان المرء يوم القيامة، وهكذا كان شأن المحسن عبداللطيف العثمان - رحمه الله – الذي أسس مسجداً جامعاً – أطلق عليه اسمه - عام ١٣٨٩ هـ الموافق لعام ١٩٦٩م، بالقطعة الثالثة في ضاحية عبدالله السالم في دولة الكويت، وهو يتميز بلونه الأصفر اللافت للنظر ومئذنتيه الجميلتين، وأسلوبه المعماري المميز، ونقوشه الجميلة من الداخل والخارج .

المواصفات العامة للمسجد:

- المساحة الكلية للمسجد ١٢٠٠ متراً مربعاً.
- يتسع مصلى الرجال لأكثر من ٨٠٠ مصلٍّ.
- يبلغ ارتفاع مئذنته ٢٣ متراً.
- بني المسجد على الطراز العادي الحديث.

المساهمة في إعمار مسجد عبدالعزيز العثمان:

ويقع مسجد عبدالعزيز العثمان على ساحل البحر في منطقة القبلة بمدينة الكويت، وقد أسسه المرحوم عبدالعزيز بن عثمان عام ١٣٢٥هـ الموافق لعام ١٩٠٧م بمعاونة بعض محسني الكويت – حسب ما بينت اللوحة المثبتة على بابه من قبل دائرة الأوقاف العامة - ويشغل موقعه الأول الجزء الشرقي من مواقف السيارات الرئيسة بمجلس الأمة.

وأعيد بناؤه عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) على نفقة كل من ابن أخته المحسن عبداللطيف سليمان العثمان وابنه عبدالوهاب العثمان وأحمد محمد الغانم ودائرة الأوقاف العامة (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حالياً)، وذلك وفق إفادة كل من النوخذة أحمد عبداللطيف سليمان العثمان والسيد محمد يوسف البدر بأنه: "قد تم

تجديد المسجد من قبل كل النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان، بمشاركة المحسن عبداللطيف سليمان العثمان، وأحمد محمد الغانم بمشاركة دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في العشرين من ذي القعدة عام ١٣٧١هـ الموافق الحادي عشر من أغسطس عام ١٩٥٢م، وقد بلغت تكاليف هذا التجديد ٨٧١٨٣ روبية."[٦٤]

وأخيراً أعيد بناؤه على نفقة ورثة المرحوم عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان عام ١٤١٠هـ (١٩٩٢م) بفريج العثمان على شارع الخليج العربي، والمسجد ما زال يحمل اسم جدهم عبدالعزيز العثمان - رحمه الله - وفاءً له ببعض حقه وفضله عليهم.

ولأن رواد هذا المسجد حالياً أكثرهم من الوافدين (غير العرب) الذين أكرمهم الله تعالى بالإسلام، وهم لا يجيدون اللغة العربية، فإن خطبة الجمعة والدروس الدينية تلقى فيه باللغة الإنجليزية، وذلك بالتنسيق مع لجنة التعريف بالإسلام.

مسجد جامع بمنطقة الزبير بالعراق:

لم يقتصر خير المحسن عبداللطيف العثمان على بلده فقط، بل امتد إلى الخارج، إلى دولة جارة هي العراق، فأسس مسجداً كبيراً بمنطقة الزبير عام ١٩٦٧م، وقد بنى هذا المسجد للفلاحين والسكان غير المقتدرين على إقامة مسجدٍ يقيمون فيه صلاة الجمعة والجماعة.

وهو يتسع لعدد كبير من المصلين، وأشرف على بنائه السيد الفاضل – محمد الحسن – رحمه الله.

الوقف الخيري للمسجد:

---

(٦٤) تاريخ دائرة الأوقاف العامة – دائرة الأوقاف العامة – الأمانة العامة للأوقاف – الكويت ١٩٩٥م.

وقد أوقف – رحمه الله – لهذا المسجد سبعة بيوت لتكون وقفاً للفقــراء المحيطــين بالمسجد، ومنها بيتاً للإمام والمؤذن، وتقيم في البقية منها بعض الأسر المحتاجة من أهل الزبير.

مسجد بمنطقة الفاو:

لم يكتف المحسن عبد اللطيف العثمان – رحمه الله – بتأسيس مسجد الزبير، إذ رأى أن أهل منطقة الفاو يحتاجون إلى مسجد أيضاً، فقام بتأسيسه عام ١٩٦٥م، لتهــوي إليه قلوب المصلين داعين الله لصاحبه – بألسنة حالهم فضلاً عن ألــسنة مقــالهم – بالخير والثواب وحسن الجزاء.

إعانة المحتاجين:

كما عرف عنه – رحمه الله – سخاء يده وتقديمه المساعدة الفورية لمن يحتاجهــا، سواء في شبابه أو شيخوخته، قال صلي الله عليه وسلم: "لا يَشْبَعُ الرَّجُلُ دُونَ جَارِهِ " رواه أحمد.

ولذا كان – رحمه الله – حريصاً على إعانة المحاجين وتفريج كرب المكروبين.

ولم يتوان – رحمه الله – عن تقديم النصح والمشورة والمساعدة لمعارفه ومريديــه وخاصة حين بدأ السفر الشراعي في التوقف، حيث لزم النوخذة عبداللطيف ديوانــه في حي القبلة يستقبل أصدقاءه ويقدم المشورة للناس.

الشهامة والنجدة والمروءة:

مما هو معروف عن المحسن عبداللطيف العثمان – رحمه الله - في ذلك المجال أنه كان يقدم ما يستطيع من المساعدات لمن تنكسر سفينته أو تتعطل بعطب كبير، فــلا يرجى من ورائها نفع، فكان يعين صاحبها هو وإخوانه القادرون من الكويتيين على

شراء أخرى جديدة، والعجيب في هذا الأمر أن الأموال التي تُجمع لهذا الغرض قد تكفي أحياناً لا لشراء سفينة واحدة فحسب، بل سفينتين.

وهذا تطبيق عملي لقول الرسول صلي الله عليه وسلم: "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ" رواه مسلم.

وكانت هذه الشهامة والمروءة هي سمة للكويتيين عموماً، آنذاك كما ذكر المحسن عبداللطيف العثمان نفسه في المقابلة التليفزيونية المذكورة التي قال فيها: "إن أهل الكويت حين يسمعون أن واحداً منهم وفقه الله وبدأ يبني لنفسه سفينة، ويمد قاعدتها (البيص)، فإنهم يذهبون إليه في ديوانه ويباركون له بدء العمل في بناء السفينة، ثم يقدمون له المساعدة، فبعضهم يعطيه قماشاً للشراع، واَخر يعطيه "فرمن" لحمل الشراع، وغير ذلك من أدوات السفينة التي تحتاجها قبل أن تبحر من الكويت".

حث الآخرين على فعل الخير:

الأمة الإسلامية أمة دعوة، ومن ثم يسعى المسلم دائماً لإصلاح أحوال الآخرين وحثهم على الخير وتشجيعهم على البر – لا سيما أهله وأقاربه - ولقد كان – رحمه الله – يحث أهله وأسرته وأولاده ومعارفه على فعل الخير، عملاً بوصية النبي صلى الله عليه وسلم لمَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ وقومه قال: "ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ" رواه البخاري.

كما كان – رحمه الله – حريصاً علي إصلاح ذات البين ورأب الصدع بين أفراد أسرته وعائلته ابتغاء مرضاه الله تعالى ومغفرته.

ومن المواقف المؤثرة التي تؤكد حرصه على أداء حقوق البحارة كاملة غير

منقوصة، بل الدفاع عنهم أمام أي طرف آخر، ما حدث بين النوخذة الكبير المحسن عبداللطيف سليمان العثمان والتاجر سليمان العبدالجليل، الذي كلفه بنقل بضاعة لـــه من الهند إلى الكويت، واتفقا على سعر معين لنقل البضاعة، فاعتقد سليمان أن السفر سيشمل تكلفة السفينة والبحارة، بينما كان يقصد النوخذة عبداللطيف أجـــرة الـــسفر فقط.

فلما تمت عملية النقل أعطاه التاجر سليمان أجرة السفينة فسأله عبداللطيف عن أجرة البحارة، فقال سليمان: "أليست داخلة في أجرة السفينة؟" فـــرد عبـــداللطيف: "لا يـــا أخوي، هذا حقهم ولا يطالبونك فيه يوم القيامة". فجاء رد سليمان حاســماً فوريـــاً، فدفع ما حدده عبداللطيف كأجرة للبحارة، قائلاً: "يا مْعوَّد .. ما أحط شيء بـــذمتي". وفي هذا الموقف دلالة واضحة على دفاعه – رحمه الله - عن حقوق بحارته.

فض المنازعات:

لم يقتصر دوره الاجتماعي - رحمه الله - على إصلاح ذات البين داخـــل أســـرته وعائلته فقط، بل امتد إلى حيه وأبناء مهنته (البحارة) جميعاً، حتى إنه كان يطلـــق عليه "رَجُل عِرْفي"، أي العارف بأمور البحر، والذي يقضي ويفضل فـــي المـــسائل والمنازعات، وبعض الخلافات التي تنشب بين البحارة ونواخـــذة الـــسفن الخاصـــة بالتجارة البحرية.

وفي الوقت الذي لم تكن قد ظهرت فيه المحاكم إلى الوجود، كانت هناك لجان أهلية من ذوي الخبرة والدراية تقوم بالنظر في القضايا ذات الاختصاص، وكـــان يطلـــق على اللجنة اسم "أهل الصنف".

وكان للمحسن عبداللطيف العثمان – رحمه الله - دور في عضوية لجنة "الخلافات" التي قد تقع بين النواخذة والبحارة أو بين تجار اللؤلؤ أنفسهم، فقد اكتـــسب خبـــرة ودراية، كما اكتسب ثقة الناس به نتيجة السمعة الطيبة التي كان يتمتع بها، ولم تكن

هذه اللجان ذات صفة رسمية، لكنها كانت محل اعتزاز وثقة وقبول في كل ما تقضي به من أحكام بين المتخاصمين.

وقد قدرت السلطات الكويتية – في ذلك الوقت – هذا الدور وأجلّته واعتمدت على ما يصدر منه من قول أو فعل فيما يعرض، حتى إن الشيخ عبد الله الجابر - رحمه الله – كان يوكله لفض أي خلاف أو نزاع بين البحارة، وكان لا يخيب ظنه أبداً.

دوره الوطني:

أدرك – رحمه الله – بناء السور – سور الكويت - وشارك في بنائه للدفاع عن الكويت من هجمات المعتدين بعد معركة الجهراء، هو وأخوه محمد.

تبرعه للجيش المصري:

عند الشدائد تعرف معادن الرجال، ولم يقتصر بر المحسن عبد اللطيف العثمان – رحمه الله – على بناء المساجد والدور الملحقة بها فحسب، بل كان يحرص على فعل الخير في أي مجال يقدر عليه وتصل يده إليه.

ومن ذلك أنه عند وقوع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، من قبل فرنسا وإنجلترا وإسرائيل، سارع – رحمه الله – بالتبرع السخي للجيش المصري، ملبياً نداء الأخوة والإيمان، وذلك ليستكمل الجيش عدته وعدده؛ للدفاع عن البلاد ضد الغزاة المعتدين.

قالوا عنه[٦٥]:

يصف عبداللطيف محمد ثنيان الغانم النوخذة عبداللطيف العثمان بأنه: "رجل حكيم ومتأنٍ وذو شخصية متميزة".

---

(65) نواخذة السفر الشراعي في الكويت – د. يعقوب يوسف الحجي – الطبعة الثانية – ص ١٩٩.

كما يصف الأستاد علي عبدالرسول النوخذة عبداللطيف بأنه "حكيم ويحرص على سلامة البحارة والسفينة، فإذا ما أقبل الليل أمر بإنزال الأشرعة تاركاً الشراع "العود الرئيس"، وترك البحارة يأخذون قسطاً وافياً من الراحة؛ إذ لم يكن ممن يسابق غيره من السفن - كما يفعل الكثيرون - بل يقود محمله بتعقل ومهارة".

ويصف أحد بحارته أخلاقه بأنها طيبة، "فإذا ما أراد أن يصدر أمراً بتغيير اتجاه الشراع (الخايور)، فإنه يقف أمام "القائم" ثم "يتنحنح" وكأنه يستعد للكلام، فيعرف البحارة ما يريده ويستعدون للعمل، فلا هو ممن يكثر الكلام والمزاح، ولا هو ممن يحيط نفسه بعزلة عن البحارة". وهو نوخذة ومعلم يعرف أصول الملاحة وأسرارها.

وفاته:

لما بدأ هدم المنازل القديمة في المدينة وترحيل السكان إلى منازل في مناطق خارجها، لزم النوخذة عبداللطيف منزله ولم يشأ أن يتركه إلا مضطراً، وبعد أن اشتد عليه المرض نُقل – رحمه الله – إلى العاصمة البريطانية لندن لتلقي العلاج، لكن جاءه أجله ووافته المنية هناك، وأعاده أبناؤه وأهله ليدفن في أرض وطنه الذي أحبه، في آخر يوم من شهر أغسطس عام ١٩٧٣م الموافق للثالث من شهر شعبان عام ١٣٩٣هـ، بعد تركه لمنزله القديم بسنوات قليلة، وكان عمره حوالي ١٠٦ أعوام.

وقد كرَّمته دولة الكويت بإطلاق إسمه على أحد شوارع القطعة الثالثة بمنطقة ضاحية عبدالله السالم.

رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والمغفرة .

المصادر والمراجع:

* مقابلة مع السيد حامد صالح عبداللطيف العثمان حفيد المحسن عبداللطيف سليمان العثمان –رحمه الله.

- صالح محمد العجيري – تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية – الطبعة الثانية – ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٤م.

- د.عبدالمحسن عبدالله الخرافي – النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان .. ريادة عائلة وتميز إنسان – الطبعة الأولى – المؤلف – الكويت ٢٠٠٣م.

- د.عبدالمحسن عبدالله الخرافي – عائلة العثمان .. مدرسة السفر الشراعي في الكويت – الطبعة الأولى – المؤلف – الكويت ٢٠٠٣م

- د. يعقوب يوسف الحجي – نواخذة السفر الشراعي في الكويت – الطبعة الثانية – الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت ١٩٩٣م.

- يعقوب يوسف الحجي – صناعة السفن الشراعية في الكويت – الطبعة الرابعة – مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠١م

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطاع المساجد – إدارة الشؤون الهندسية.

* وثق هذه المادة حفيده السيد حامد صالح عبداللطيف العثمان.

عبدالله فريح عثمان الفدّا

(١٢٩٧-١٣٧١هـ) (١٨٧٩م – ١٩٥١م)

المولد والنشأة:

ولد المحسن عبد الله فريح عثمان الفدا عام ١٢٩٧هـ الموافق لعام ١٨٧٩م في قرية الجنوبية بمنطقة السدير في إقليم نجد بالمملكة العربية السعودية الشقيقة. وهو أكبر إخوته سناً، ويليه أخوه عثمان ثم أخته منيرة ثم أخوه إبراهيم.

تحمله المسؤولية مبكراً:

عندما توفي والده – رحمه الله – كان عبدالله لا يزال في سن الشباب، ولكنه كان على قدر المسؤولية وعند حسن ظن إخوته ووالدته وجميع أقاربه ومعارفه، فقد أحسن تحمل المسؤولية، بل تعوَّد عليها فقوي عوده واشتد ساعده، وتعلم كيف ينهض بها دون كلل أو ملل، وهكذا تصنع الشدائد الرجال، وعند البلاء تظهر معادن الناس، وما أحسن قول المتنبي:

إذا القوم قالوا من الفتى خلت أنني عُنيت فلم أكسل ولم أتبلِّدِ

تعليمه

لم ينل المحسن عبدالله فريح الفدا حظاً وافراً من التعليم، إذ لم يكن التعليم شائعاً في ذلك الوقت كما هو معروف، فقد كان مقتصراً على تعليم قراءة القرآن الكريم في الكتاتيب وحفظه، وكانت القراءة والكتابة تشكل صعوبة، ولكن عبدالله كان محباً للقرآن الكريم محافظاً عليه ومتمسكاً بتعلمه وقراءة ورده منه يومياً، حرصاً على

تحصيل ثواب تلاوته، عاملاً في ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَــنْ قَــرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ " رواه الترمذي.

رحلته من نجد إلى الزبير ثم الكويت:

قضى المحسن عبد الله فريح الفدّا فترة طفولته وصباه ومطلع شبابه في نجد، وظــل بها حتى القرن العشرين الميلادي، وكان عمره حوالي ٢١ عاماً، ونظراً لما أصاب نجد من جفاف في تلك الفترة، فقد انتقل إلى منطقة الزبير بالعراق مع والدته وإخوته الثلاثة، سعياً وراء الرزق الحلال، وعملاً بقولة تعالى:

"وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً (١٠٠)" سورة النساء.

وبعد أن وصل إلى الزبير، بقي فيها فترة من الزمن، عمل خلالها في مجال البناء، حتى أصبح أستاداً في هذا المجال، لإتقانه لعمله بكل ما يستطيع وإخلاصه فيه، واجتهاده فــي تحصيل الرزق بهذا الطريق الحلال.

وبينما كان المحسن عبد الله فريح مقيماً بالزبير، مقبلاً على حياته فيها، متقناً عملــه راضياً بما قسم الله له، سمع عن أهل الكويت، وعن سماحتهم وطيب مقامهم وحسن عشرتهم، فقرر هو ومجموعة الأستادية الذين يعملون معه التوجه إلى الكويت؛ سعياً وراء الرزق الحلال ومجاورة لأولئك القوم الطيبين الذين سمعوا عنهم خيراً كثيراً.

وفي الكويت أقام بمنطقة القبلة (جبلة)، وبدأ العمل بها وتعرف على أهلها وكان من بينهم السيد داود المرزوق البدر، الذي لمس فيه الإخلاص في العمل وحسن إتقانــه له، واستراح هو أيضاً له، فاتخذ قراراً بالمكوث في الكويت هو وأهله، خاصة بعدما طلب منه السيد داود المرزوق الإقامة في منزل خصصه له ولأهله، بعدما لمس فيه الكثير من الصفات الطيبة والأخلاق الحميدة.

صفاته وأخلاقه

اتسم المحسن عبد الله الفدّا بالعديد من الخصال الحميدة والأخلاق الحسنة التي اكتسبها من خلال قراءته للقرآن الكريم أولاً، ثم من خلال الأسرة والبيئة الصالحة التي نشأ وتربى فيها، فكان خلقه الحسن أحد أوجه الخير والإحسان لديه، وهو من موجبات الجنة. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ، قَالَ: التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَسُئِلَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ قَالَ الأَجْوَفَانِ الْفَمُ وَالْفَرْجُ " رواه ابن ماجه.

ويأتي على رأس هذه الصفات التي حرص – رحمه الله - على التحلي بها لإرضاء ربه، التمسك بصلاة الجماعة وحبه للسعي إلى المساجد، دون أن تلهيه أعماله وأولاده وتجارته عن أداء حقوق ربه عليه وأولها الصلاة، مستجيباً لقوله تعالى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩)" سورة المنافقون.

إخلاصه في عمله وإتقانه له

"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عمل أن يتقنه"، بهذا المبدأ كان المحسن عبد الله الفريح محسناً لعمله متقناً له مخلصاً فيه، وهذا ما دعا أهل الكويت إلى حبة واستحسان أخلاقه، فأحاطوه بالرعاية والحب وأغدقوا عليه من المودة والوفاء.

ومما يؤكد إحسانه لعمله وإخلاصه فيه، تعلمه لطريقة البناء باستخدام الصخر، وهي الطريقة التي كانت شائعة الاستخدام في دولة الكويت – آنذاك – وهي تختلف عن الطرق التي تعلمها عبدالله الفدا في منطقة الزبير التي تعلم فيها أصول البناء وأصبح

أستاداً [٦٦]فيه، ولكنه سرعان ما تعلم فنون البناء على الطريقة الكويتية، لشدة إخلاصه وحبه للعمل ورغبته في البقاء بهذا البلد الطيب الذي وجد من أهله كل الود والترحيب.

ومن الصفات الواضحة للمحسن عبدالله الفريح، الإيجابية والجدية، وذلك لاستجابته السريعة لتطورات الأحداث، وسعيه الدؤوب إلى طلب الرزق في أي مكان وزمان، فقد ترك نجد إلى الزبير بالعراق، ثم توجه إلى الكويت فيما بعد.

سماحته

عُرف المحسن عبدالله الفدّا بصفاته الطيبة، بل وسمي بها، فقد أطلقوا عليه لقب "أبو مسامح" دلالة على سماحته ولينه، وذلك بسبب تأصل هذه الخصلة وتجذرها في وجدانه، وبروزها في أخلاقه ومعاملاته، وحرصه – رحمه الله – على نيل بركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة والسماحة في المعاملة، قال صلى الله عليه وسلم: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى" رواه البخاري في صحيحه.

حب العلم ومجالسة العلماء

رغم أن المحسن عبدالله فريح لم ينل قدراً كبير من التعليم، إلا أنه كان حريصاً على مجالسة العلماء والصالحين، عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ" رواه أبو داود.

([66]) الأستاد: أو الستاد باللهجة الكويتية هو نجار السفينة، وهو معلم الصبيان في المدرسة، والستاد في المدينة هو رئيس البنائين ومهندسهم، وأصل الكلمة "أستاذ"، وكل صاحب صنعة يقال له ستاد في صنعته أي خبير فيها، (المرجع: الموسوعة الكويتية المختصرة - الجزء الأول – ص ٧١).

ولذا حرص - رحمه الله - على مجالسة الصالحين ومنهم الشيخ عبد الله الخلـف - رحمه الله - حيث كانت جلساته في ديوانه الكائن بالقرب من مسجد البدر.

زواجه وأسرته

لما كبر المحسن عبد الله الفريح وبلغ مبلغ الشباب، شرع في البحث عن شريكة لـه في الحياة ، تقاسمه الآمال والآلام وتكون عوناً له على الخير، ودافعاً إلى البر، ولعل الله تعالى يرزقه منها الذرية الصالحة التي تساهم في إعمار الأرض ورفعـة شـأن الوطن العزيز.

وقد وفقه الله تعالى إلى الزواج من فتاة طيبة من بلده نجد، قبل أن يغادرها إلى محل عمله الجديد بالزبير، وقد رزقه الله منها بنتاً واحدة، وقدر الله تعالى لها أن تتـوفى وهي في سنٍ صغيرة لتكون شفيعاً له يوم القيامة، بإذن الله.

وبعد أن استقر في وطنه الذي أحبه (الكويت) تزوج بالثانية ورزقه الله منها بنتاً وولـدين هما: فريح وعثمان.

ثم جد له من الأمور ما دعاه إلى الزواج بثالثة، ورزق الله منها بنتاً واحدة، وهكـذا كانت ذريته ولدين وبنتين، كانوا جميعاً خير خلف لخير سلف، قال تعالى:

"ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)" سورة آل عمران.

عمله في الكويت

كان – رحمه الله - أستاداً في البناء كما ذكرنا، وقد زاول عمله بداية في الزبيـر، ولم يكن يتقن البناء بالصخر وهى الطريقة المعروفة للبناء عنـد أهـل الكويـت – آنذاك.

ولكنه عندما انتقل إلى الكويت كان حريصاً على الاستقرار بها لطيب أهلها وسماحتهم ورغبة في البقاء معهم ، وقد حرص على تعلم البناء بطريقة الصخر وإتقانها وإحسانها.

أستاد من الطراز الأول

ومع مرور الزمن بدأت سمعته تنتشر شيئاً فشيئاً، وذاع صيته بين الناس، حتى أصبح أستاداً من الطراز الأول، خاصة بين أهل جبلة، وقد ازدادت شهرته عندما قررت بلدية الكويت استغلال مياه الأمطار وتجميعها للاستفادة منها كمخزون استراتيجي من المياه عند الحاجة إليها. ولذا شرعت البلدية في بناء البرك في الأسواق لتجميع مياه الأمطار المتساقطة على أسقف شبرات الأسواق، فطلبت من المحسن عبدالله الفريح – رحمه الله - أن يتولى عملية بناء هذه البرك، فقام ببناء واحدة في سوق المناخ، وأخرى قريبة من سوق الدعيج، وثالثه قريبة من سوق "الزل".

وقد أجاد – رحمه الله - بناء هذه البرك الثلاثة لاستخدامه طريقة خاصة في بناء أسقفها، وكانت هي سر مهنته، حيث لم يستخدم في بنائها الحديد كما هو شائع في ذلك الوقت، بل استخدم طرقاً أخرى لسقفها مهما كان حجم تلك البركة، وكان متقناً لهذه الطريقة دون غيره من الأستادية، وتسمى طريقة "العقادة" مع لفظ القاف جيماً قاهرية، وتقوم فكرتها على تشريك (تعقيد) الصخور بشكل هندسي ينقل أحمالها إلى بعضها، بشكل يضاعف قدرة تحملها للأثقال فوقها.

بِركة القصر

وهنا نذكر حادثة وقعت عند بناء قصر نايف، إذ إنه بعدما تم بناء بركة كبيرة في القصر بإشراف أحد الأستادية، وبعد الانتهاء من بناء سقف البركة، وأثناء فك الخشب وإخراجه تهدم السقف على العاملين فيها، فقتل من قتل، وجرح من جرح،

وهنا طلب الشيخ عبدالله الأحمد - رحمه الله - من المرحوم عبدالله الفدا إعادة بنائها على طريقته (العقادة)، فكان له ما طلب، وأدى المرحوم عبد الله الفدا المهمة على خير وجه، لدرجة أنه بعد الانتهاء من بناء سقف البركة تصادف مرور بعير محملاً بعدد ست قرب ماء على هذه البركة، وعندما همّ بالمرور فوقها أوقفه الشيخ عبدالله - رحمه الله - خوفاً من سقوطها، كما حدث في المرة الأولى، إلا أن المرحوم الفريح طمأن الشيخ بأن البركة تستطيع تحمل سيارة بكامل حمولتها، وليس فقط بعيراً واحداً، وبالفعل أمر بمرور البعير من فوق البركة، بالرغم من وجود ابنه فريح بداخل البركة الذي كان يعمل في فك الخشب، ومر البعير بسلام ولم تتأثر به البركة بفضل الله تعالى، مما زاد ثقة الناس فيه واقتناعهم بحسن صنعته وإتقانه لعمله.[٦٧]

بعض إنجازاته

لم يقتصر جهد المحسن عبدالله الفدا على بناء البرك فحسب، بل شارك في العديد من الأعمال الأخرى المهمة في دولة الكويت ومنها:

- بناء مسجد الساير القبلي بجبلة، من أموال الأخوين عبد الله ومبارك الساير - رحمهما الله.
- بناء العديد من منازل أهل الكويت في جبلة وشرق وغالبية مناطق الكويت.
- المشاركة في بناء سور الكويت بعد معركة الجهراء.

أوجه الإحسان في حياته

الإحسان سمة من سمات المؤمنين الصادقين، ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه، والله غني عن العالمين، قال تعالى في كتابه العزيز:

([67]) روى هذه الحادثة ابنه فريح عبدالله الفدا.

"هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)" سورة محمد .

ولذلك فقد تعددت أوجه الإحسان في حياة المرحوم عبدالله الفريح - رحمه الله - ومنها:

وصيته

تعددت صور صلة الرحم لدى المحسن عبدالله الفريح – رحمه الله – فقد كان حريصاً على صلة رحمه والبر بأهله في حياته وبعد مماته، ولذلك فقد أوصى - رحمه الله - قبيل مماته بجزء من ماله لأقاربه وذوى رحمه، راغباً في ثواب الله تعالى وعطائه الذي وعد به رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" رواه أحمد في المسند.

كما أوصى بألف روبية لأخيه إبراهيم، ولأخته بمائتي روبية، ولبناتها المتزوجات بمائتين، ولغير المتزوجات ستمائة روبية.

أما أخوه عثمان الذي توفي قبله، فقد أوصى عبدالله الفريح – رحمه الله - بأضحيتين كل سنة، واحدة له ولأخيه عثمان والثانية لأبيه.

ثلثه الخيري:

وقد ترك المحسن عبدالله الفدا – رحمه الله – ثلثاً خيرياً، وأوصى به ابنه فريح لينفق منه في كل ما يعود عليه – رحمه الله - بالأجر والثواب، وقد بارك الله تعالى في هذا الثلث وتحقق من خلاله عدد من المشروعات الخيرية، تم تنفيذها بواسطة الهيئات والجمعيات الخيرية العاملة في دولة الكويت، وقد تنوعت هذه الأنشطة الخيرية وشملت وطنه الكويت وعدد من الدول الإفريقية والأسيوية، نسأل الله تعالى

أن يجعلها صدقة جارية له، مصداقاً لما أخبر به الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثلاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ"رواه الترمذي.

بناء المساجد

أيقن ورثة المرحوم عبد الله الفريح والقائمون على وصيته أهمية إعمار بيوت الله تعالى وعظم قدرها في الإسلام، وكذلك عظم الأجر والثواب الذي سيعود على الواقف وهو والدهم عبدالله الفريح – رحمه الله – من أجر بناء المساجد التي قال الله تعالى فيها:

"فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦)" سورة النور.

ولهذا قاموا - بفضل الله تعالى - ببناء عدد من المساجد والمراكز الإسلامية بناءً على وصيته – رحمه الله – وقد أشرف على هذه الأعمال المباركة ابنه فريح (الوصي على الثلث)، جعل الله تعالى له من أجرها نصيباً موفوراً، ومن هذه الأعمال ما يلي:

مسجد عبدالله الفريح الفدا بالنقرة

وقد تأسس هذا المسجد المبارك في منطقة النقرة بمحافظة على شارع شرحبيل المعروف بكثافته العمرانية وكثرة أسواقه، وقد تم بناءه في يوم ٢٠ محرم عام ١٤٠٣هـ الموافق للسادس من نوفمبر عام ١٩٨٢م، وهو مسجد جامع يشغل مساحة كبيرة من الأرض أشرف على بناءه وتجهيزه ابنه فريح.

المواصفات العامة للمسجد:

- المساحة الكلية للمسجد ١٥٠٦ متراً مربعاً.
- مساحة مصلى النساء ٤١٦ متراً مربعاً.
- يتسع مصلى الرجال لأكثر من ٩٠٠ مصلٍّ، بينما يتسع مصلى النساء لعدد ١٤٠ مصلية.

- توجد مكتبة عامرة مساحتها ٧٠ متراً مربعاً

- يبلغ ارتفاع مئذنته ٣٢ متراً.
- بني المسجد على الطراز العادي الحديث.

ولا يزال هذا المسجد قائماً بفضل الله تعالى يرفع من فوق مئذنته نداء "الله أكبر"، وتنطلق بين جدرانه تكبيرات المؤمنين، وتسبيحات المصلين، ودعوات الراكعين الساجدين بخير الجزاء للمحسن الكريم - رحمه الله - وذريته المباركة، فتعطر الأجواء وتطهر القلوب.

مسجد بالفلبين

حيث إن المسلمين أقلية في هذا البلد الذي تعتنق أغلبيته النصرانية، وكانوا في حاجه إلى هذا المسجد يوحدون فيه ربهم ويؤدون صلواتهم، قام فريح - جزاه الله خيراً – ببناء مسجد بالفلبين، من ثلث المرحوم والده، وقد نفذ المشروع في الفلبين مركز الشباب المسلم، بالتعاون مع بيت الزكاة الذي أشرف على تنفيذ المشروع ومتابعته حالياً، وقد تم بناء هذا المسجد بعد تحرير دولة الكويت مباشرة، وهو مسجد جامع تأسس على مساحة كبيرة من الأرض، في جامعة مسلم مندناو بالفلبين، ويضم المسجد مصلى للنساء وله مئذنة.

مستوصف عبدالله الفريح بالفلبين:

وقد تأسس هذا الموستصف لخدمة المسلمين في الفلبين أيضاً بجوار المسجد في جامعة مسلم مندناو، وقد نفذه أيضاً مركز الشباب المسلم بالفلبين بالتنسيق مع بيت الزكاة الكويتي، من ثلث المرحوم المحسن عبدالله فريح الفدا.

مركز إسلامي بملاوي:

كما قام فريح ببناء مركز إسلامي في مالاوي نفذته لجنة مسلمي إفريقيا، بتكلفة قدرها ٢٠٠ ألف دينار كويتي، أنفقها المحسن الكريم عبدالله الفدا في سبيل الله تعالى بكل سخاء ودون تردد؛ لعلمه بأنه سينال أجرها أضعافاً مضاعفة عند الله تعالى القائل في كتابه العزيز:

"مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)" سورة البقرة.

وقد أشرف الدكتور عبد الرحمن السميط أمين عام لجنة مسلمي إفريقيا على تنفيذ هذا المركز الذي لا يزال قائماً شاهداً على مواقف أهل الكويت الأبرار وإحسانهم وامتداد عطائهم إلى مناطق شتى من أنحاء العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

ويزاول المركز نشاطه منذ افتتاحه في عام ١٩٩٩م، في خدمة المسلمين هناك ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام، كما يحتوي المركز على مشاريع كبيرة ذات أهمية خاصة، ويعتبر كل مشروع منها عملاً خيرياً بذاته، وهي:

- مسجد.
- مركز تدريب مهني.
- مدرسة.
- سكن مدرسين.

- سكن طلاب.
- مختبرات علمية.

- وزيادة في الخير وحرصاً على تقديم أكبر الفائدة للطلبة والمدرسين المقيمين في هذا المركز فقد تم إنشاء حظيرة صغيرة تضم أبقاراً حلابة تكفي بفضل الله تعالى لسد حاجة هؤلاء من الحليب ومنتجاته.

بئر ارتوازي في السودان

كانت الآبار - ولا تزال - تشكل المصدر الرئيس للشرب في كثير من المناطق لندرة الأمطار من ناحية، وقلة الجداول والأنهار ومصادر الشرب الطبيعية من ناحية أخرى، ولذا طلب فريح حفر بئر ارتوازي في السودان، وقد تأسس هذا البئر في عام ١٩٨٩م في إحدى المناطق التي تحتاج بشدة للماء، وهي منطقة الدروشاب.

وهذا البئر يتكون من مضخة رئيسة وخزان للمياه، وهو لا يزال موجوداً شاهداً على بر هذا الرجل وإحسانه وجوده وكرمه، نسأل الله تعالى أن يجعله صدقة جارية له ولمن ساهم في بنائه، فسقي الماء من أفضل الصدقات، مصداقاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ سَقْيُ الْمَاءِ" رواه ابن ماجة في سننه.

وقف عقاري بجنوب إفريقيا:

وقد نفذت هذا المشروع أيضاً لجنة مسلمي إفريقيا، حيث تم بناءه في مدينة جوهانسبرج بدولة جنوب إفريقيا، على نفقة المحسن الكريم عبدالله فريح الفدا – رحمه الله – وهذا التبرع الكريم جاء من ثلثه الخيري على يد ابنه فريح، وبلغ إجمالي تكاليف بناء وتجهيز هذا العقار ٤٤ ألف دينار كويتي، جعلها الله تعالى في ميزان حسناته.

ولهذا العقار أهداف سامية - وفق ماذكره لنا ابنه فريح عبدالله الفدا - حيث ينق ريعه على كفالة ورعاية الأيتام المقيمين في مركز عبدالله الفدا الإسلامي في ملاوي الذي سبق وأشرنا إليه آنفاً، وذلك رغبة منه في نيل رضى الله تعالى، وعملاً بقول رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: "مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ أَوْ يَتِيمَةٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ" رواه أحمد في المسند.

حفظ الله ورعايته له

واجه المحسن عبدالله الفريح - رحمه الله – مواقف مميتة؛ لولا حفظ الله تعالى له بما فعله من خيرات جعلها الله تعالى جميعاً في ميزان حسناته يوم القيامة. وقد صدق الله سبحانه القائل في كتابه العزيز:

"... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)" سورة الطلاق.

قصته مع الحية:

بينما كان عبدالله الفريح صبياً في نجد، يرعى الغنم ذات مرة وهو متحزم بالحبل على وسطه - كما هي عادة كثير من الرعاة في ذلك الوقت - أحس بشيء بارد ثقيل داخل ثوبه يلامس ظهره فعرف أنها حية، فألهمه الله الهدوء والسكينة رغم كونه صغير السن قليل الخبرة بمثل هذه الأمور، فحرك يديه بهدوء باتجاه الريح ليدخل الريح من كمه الآخر، فلما أحست الحية ببرودة الهواء خرجت من كمه دون أذى.

وأخرى مع الذئاب:

بعدما انتهى ذات يوم من رعي الأغنام أيضاً، قبيل الغروب، جمع القطيع، وشرع في التوجه إلى بيته وبينما هو عائد مع غنمه تجمعت مجموعة من الذئاب حوله وحول غنمه، وكان فتى صغيراً لا خبرة له، وكأنى به توجه إلى الله بالدعاء أن يفرج عنه ويصرف هذا البلاء، قائلاً:

"أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ . . . (٦٢)" سورة النمل.

فمرت - بفضل الله تعالى - دون أن تمسه أو تمس غنمه بأي ضرر، وهكذا أحاط الله هذا الغلام الصغير بعنايته، وهو تعالى أعلم بما في نفسه من خير وما في قلبه من بر، فنجاه في الشدة وفرج عنه الكربة.[٦٨]

دوره الوطني

كان – رحمه الله - محباً لوطنه الكويت، وقد رسخ حب هذا الوطن في قلبه وأصبحت الكويت جزءاً منه، فكان مشاركاً لأهلها في أفراحهم وأتراحهم، في العسر واليسر، ومن مواقفه الوطنية المشهودة مشاركته في بناء سور الكويت بعد معركة الجهراء، بالرغم من أنه لم تمض على زواجه سوى أيام قلائل، وهكذا فقد قدم نداء الوطن وواجبه على مصالحه الشخصية وسعادته الذاتية.

وفاته

بعد عمر مديد ناهز الاثنين والسبعين عاماً، قدم فيه الكثير من أعمال الخير والبر، ولم ينتهي هذا الخير بعد وفاته ولكن شاء الله تعالى أن يجعل في ذريته خير خلف لخير سلف وأن يكون ثلثه الخيري الذي تركه شجرة مباركة تؤتي ثمارها في كافة أوجه الخير كل حين.

([68]) روى هذه القصة ابنه موثق هذه السيرة العطرة.

وقد توفي رحمه الله تعالى بالمستشفى الأميري في مدينة الكويت عـــام ١٣٧١هـــــ الموافق لعام ١٩٥١م، بعد معاناة وصراع مع المرض.

رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عما فعل خير الجزاء، وجعل أعماله فـــي ميـــزان حسناته.

المصادر والمراجع:

* مقابلة مع السيد فريح عبدالله فريح الفدا ابن المحسن عبدالله الفدا – رحمه الله.

- لجنة مسلمي إفريقيا (جمعية العون المباشر حالياً).

- بيت الزكاة – الكويت – إدارة النشاط الخارجي.

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطاع المساجد – الإدارة الهندسية.

- حمد محمد السعيدان – الموسوعة الكويتية المختصرة – الجزء الأول – الطبعـــة الثالثة – الكويت ١٩٩٣م.

* وثق هذه المادة ابنه فريح عبدالله فريح الفدا.

فاطمة محمد عبدالعزيز الميلم

(١٣٦٢ – ١٤١٤هـ) (١٩٤٣- ١٩٩٣م)

المولد والنشأة:

هي فاطمة بنت محمد بن عبدالعزيز بن فهد الميلم، المولودة بمنطقة القبلة في مدينة الكويت في الثمن عشر من شهر صفر عام ١٣٦٢هـ، الموافق للثالث والعشرين من فبراير عام ١٩٤٣م

نشأت - رحمها الله - في كنف أسرة كويتية كريمة، محافظة على العادات والتقاليد - كما هو الشأن في الأسر الكويتية بصفة عامة - فتشربت القيم الحميدة، وتربت على مائدة الأخلاق العربية والقيم الإسلامية الأصيلة، وعلى رأسها الجود والحياء والعفة وتقديس الحياة الزوجية، وغيرها من الأخلاق الفاضلة. وكان لها خمسة أشقاء وشقيقتان.

وقد نالت حظاً من التعليم مكنها من إجادة القراءة والكتابة، وكان هذا يعد مرحلة جيدة آنذاك، حيث لم يكن نطاق التعليم قد اتسع كما هو حادث الآن، لا سيما في وسط الفتيات.

صفاتها وأخلاقها:

كانت المحسنة فاطمة الميلم - رحمها الله - حسنة الأخلاق، هادئة الطباع، كريمة السجايا، قليلة الكلام، كثيرة الصمت، عفيفة اللسان، محبة لعمل الخير، ساعية في قضاء حوائج الناس. كما كانت - رحمها الله - زاهدة في ملذات الدنيا، حريصة على فعل الخير وبذل الصدقات، خاصة في السر، لا تحب المباهاة ولا المفاخرة، وقد عاشت في أهلها ووسط جيرانها في هدوء وسكينة لا تؤذي أحداً، ولا تسيء إلى أحد، حتى رحلت عن دنيانا بنفس القدر من الهدوء والسكينة، ولم يُسمع عنها غير ذلك.

ولم يكن غريباً أن تتشرب أخلاق المحسنة فاطمة الميلم هذه الصفات الكريمة، وهي الفتاة التي نشأت في وسط طيب كريم، وبيئة صالحة ومنبت أصيل، وقد اتسمت حياتها – رحمها الله - بحب الخير والمسارعة إليه وكان لها من أوجه الإحسان الكثير.

حياتها الاجتماعية:

تزوجت المحسنة فاطمة الميلم من السيد شعيب إبراهيم العلي - رحمه الله - وكانت تتمنى أن ترزق بأولاد

يلبون عاطفة الأمومة الفطرية لديها، ولكن الله تعالى قدر غير ذلك . . لحكمة يعلمها سبحانه القائل في كتابه العزيز: "لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(٥٠)" سورة الشورى.

وما كان منها - رحمها الله - إلا أن رضيت بقدر ربها، واستسلمت لحكمه جل وعلا، إدراكاً منها لقوله سبحانه: "... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)" سورة الزمر.

أوجه الإحسان في حياتها:

لم يقتصر الإحسان في بلدنا الحبيب الكويت على الرجال فحسب، بل شمل كذلك - ولا يزال - النساء وهن نصف المجتمع ومصانع الرجال. والله جل وعلا لا يضيع أجر المحسن ذكراً كان أم أنثى، قال تعالى:

"فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ... (١٩٥)" سورة آل عمران.

ونموذج الإحسان الذي سنتحدث عنه في هذه الصفحات، إنما هو لامرأة كريمة ضربت في مجال الإحسان والبذل والعطاء بسهم وافر وعطاء زاخر. فكثيراً ما كانت المحسنة فاطمة الميلم تقرأ أو تسمع عن ثواب المحسنين وجزائهم العظيم، وما أعده الله تعالى لهم من واسع فضله وعظيم عطائه، قال تعالى "... إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)" سورة يوسف.

ومن هنا تطلعت نفسها شوقاً إلى ولوج هذا الباب العظيم، باب البِر والإحسان، لتكتب اسمها في هذا السجل المشرف.

بناء مسجد في البحرين:

كانت المحسنة فاطمة الميلم - رحمها الله - متطلعة طوال حياتها، إلى بناء بيت لله تعالى، يذكر فيه اسمه بالغدو والآصال، ويكون قربة لها عند ربها، ويجري لها ثوابه بعد موتها، لا سيما وقد داعب سمعها كثيراً حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا مِنْ مَالِهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ" رواه ابن ماجه في سننه.

وقد تحقق لها هذا الأمل في حياتها، وقرت عينها وسعد قلبها برضا ربها جل وعلا عندما أمرت ببناء هذا المسجد في دولة البحرين الشقيقة "مملكة البحرين حالياً"، ولكن قضاء الله تعالى عاجلها قبل أن يتم البناء، فقام أوصياؤها بتحقيق رغبتها بعد وفاتها ومن حُرِّ مالها، داعين الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتها، وأن يجزيها عنه خير الجزاء يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ويقع المسجد في مدينة المحرق بمملكة البحرين الشقيقة، وقد تأسس في عام ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م)، حيث تم الانتهاء من بنائه وتجهيزه بإشراف إخوانها، وتم افتتاحه في الرابع من شهر رجب عام ١٤٢١هـ الموافق للأول من أكتوبر عام ٢٠٠٠م.

المواصفات العامة للمسجد:

- المساحة الكلية للمسجد ٢٥٠ متراً مربعاً.

- يضم المسجد مصلى للنساء، بالإضافة لصحن المسجد الرئيس.

- يبلغ ارتفاع المئذنة ٢٠ متر تقريباً.

صالة الميلم للأفراح بالعديلية:

كانت فاطمة الميلم - رحمها الله - حريصة على أن يمتد عطاؤها ويتنوع أوجه بذلها وبِرها، وكانت تسعد بمشاركة الناس في أفراحهم، لذا فكرت في أن تساهم في عمل يخدم الناس بعد أن كثروا وزاد عددهم، وضاقت المنازل عن أفراحهم ومناسباتهم، فقامت - رحمها الله - بإنشاء صالة الميلم للأفراح والمناسبات الاجتماعية بمنطقة العديلية، حباً منها لفعل الخير، وتمني من الله تعالى أن يجعلها صدقة جارية لها - رحمها الله - وأن تكون ممن تحقق فيهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّدَقَاتِ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ أَوْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ. .."رواه البخاري.

وقد حرصت - رحمها الله - على أن يتم هذا العمل على أحسن وجه، مهما تكلف من نفقات، ومهما استغرق من وقت وجهد، ليكون صرحاً من صروح الخير، وعلامة مضيئة على أصالة معادن أهل الكويت رجالاً ونساءً، شيبة وشباباً.

وقد تم اختيار المكان وتجهيزه وبناءه من مالها الخاص، بعد أن اشترت الأرض وأمرت ببدء العمل فيها أثناء حياتها، ولكنها توفيت في عام ١٩٩٣م – رحمها الله - قبل أن تشاهد البدء في البناء هذا العمل الطيب المبارك عام ١٩٩٤م، الذي أكمله إخوانها، وقد تم بحمد الله تعالى افتتاح هذه الصالة عام ١٩٩٦م.

وما زالت هذه الصالة قائمة حتى الآن، تتوارد عليها الأجيال، وتتذاكر بذل هذه السيدة الكريمة وعطاءها، وبِرها وسخاءها، وتحقق لها طموحها بأن تنال – هي وإخوانها وكل من ساهم بجهده ووقته في العمل – الأجر الكبير والثواب الجزيل الذي عناه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله: إِذَا تَصَدَّقَتْ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ

زَوْجِهَا كَانَ لَهَا أَجْرٌ وَلِلزَّوْجِ مِثْلُ ذَلِكَ وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ وَلا يَنْقُصُ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ أَجْرِ صَاحِبِهِ شَيْئًا لِلزَّوْجِ بِمَا كَسَبَ وَلَهَا بِمَا أَنْفَقَتْ" أخرجه النسائي.

وتبلغ مساحة الصالة ١٥٥٥ متراً مربعاً، وهي صالة كبيرة معدة للاستقبال وبها صالة للطعام ومطبخ رئيس ومكاتب لإدارة الصالة والخدمات أخرى.

ديوان العزاء:

استكمالاً لنهج الخير الذي سلكته المحسنة فاطمة الميلم – رحمها الله – والذي ركز على خدمة الناس ومشاركتهم في مناسباتهم الاجتماعية والتعاون معهم قدر إمكانها عملاً بالحديث النبوي الشريف الذي رواه النّعْمَان بْن بَشِيرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" رواه البخاري.

ولذا فقد قامت ببناء قاعة للعزاء في منطقة العديلية أيضاً بالقرب من صالة الميلم، حيث قام بهذا العمل اخوتها على نفقتها بعد وفاتها، وتم افتتاح تلك القاعة في عام ٢٠٠١م، وما زالت تؤدي خدماتها للمواطنين الراغبين في ذلك. نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتها

بدأ العمل في القاعة سنة ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م)، وتم الانتهاء منها وافتتاحها سنة ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م)، وتبلغ مساحتها ٧٠٠ متراً مربعاً، وهي تشمل ديوان رئيس للاستقبال وخدمات أخرى.

وفاتها:

كانت المحسنة فاطمة الميلم تتمنى لو تطول بها الحياة ويمتد بها العمر، ليس حباً في الدنيا - وهي الراغبة عن متعتها وملذاتها، الزاهدة فيها، الساعية لرضا الله تعالى - بل للإكثار من فعل الخيرات، والازدياد في الباقيات الصالحات، فها هي حتى وفاتها تلح على إنجاز المسجد والصالة بأسرع ما يكون، أملاً منها في أن تراهما قبل موتها، إلا أن أجل الله تعالى وافاها فرحلت إلى بارئها جل وعلا بنفس الهدوء والسكينة اللتين عاشت بهما بين الناس.

وفي ١٤ صفر عام ١٤١٤هـ الموافق للثاني من أغسطس عام ١٩٩٣م، رحلت عن عالم الحياة الفانية إلى الحياة الباقية، ولم تكن قد جاوزت الخمسين إلا ببضعة أشهر.

جزى الله المحسنة فاطمة الميلم خير الجزاء على ما قدمت، وجعل أعمالها في ميزان حسناتها، وأعقبها في أهلها خيراً، وألحقها بمن سبقها من عباده المؤمنين الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

المصادر والمراجع:

* مقابلة مع السيد طارق بدر محمد الميلم، ابن أخي المحسنة فاطمة الميلم.

* وثق هذه المادة السيد طارق بدر محمد الميلم.

لولوه عبدالمحسن المهيني

(١٢٦٧-١٣٤٤هـ)(١٨٥٠- ١٩٢٥م) تقريباً

المولد والنشأة

لم تتوافر لدينا معلومات كافية عن تاريخ مولد المحسنة لولوه عبد المحسن المهيني، نظراً لضعف وندرة أدوات التوثيق في ذلك الوقت، وكذلك ندرة المهتمين بسير المحسنين الذين قدموا أعمالاً جليلة لخدمة الإسلام والمسلمين، في وطنهم الكويت أو الدول الأخرى.

وبالرغم من ذلك، فإنه خلال سيرتها الطيبة وأعمالها وأوقافها الخيرية، يمكن أن نرجح أن تكون قد ولدت - رحمها الله – في النصف الثاني من القرن العشرين، وتحديداً في الفترة من ١٨٥٠ إلى ١٨٧٥م، نظراً لأن وقفها الخيري قد تم توثيقه في السابع عشر من المحرم عام ١٣٢٧هـ (أي حوالي عام ١٩٠٩م).

ويرجع أصل المحسنة لولوه المهيني – رحمها الله - كما تروي حفيدتها الخالة موضى عبدالمحسن جاسم الشايجي، إلى إقليم نجد بالمملكة العربية السعودية الشقيقة، حيث قدم أهلها مع بداية نشأة الكويت، وكانوا يشتغلون بالتجارة، ولديهم من الخير الكثير بفضل الله تعالى، وقد عُرف عنهم كثرة أعمالهم الخيرية، ثم نقلوا تجارتهم إلى الكويت.

وقد تأثرت المحسنة لولوه المهيني – رحمها الله – في سلوكها بجودهم وكرمهم وإنفاقهم في سبيل الله تعالى، فإذا استقام الأصل استقام الفرع، وهذا الأمر ليس بمستغرب، حيث إننا كثيراً ما نجد أن أسراً وعائلات وقبائل بأكملها قد زكت سيرتها وطاب عطاؤها، وكثر جودها وكرمها، وعمت شهرتها الآفاق، ويتوارث الأبناء والأحفاد سير وأخلاق الآباء والأجداد، قال تعالى:

"ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)" آل عمران

تعليمها

كان التعليم في ذلك الوقت - كما هو معروف - قاصرا على الكتاتيب، التي يتم فيها تعليم الحروف الأبجدية، والمبادئ الأولية للقراءة والكتابة والحساب، وبالفعل ذهبت المحسنة لولوه - رحمها الله – إلى الكُتّاب وتعلمت فيه قراءة القرآن الكريم على الوجه الصحيح، وحفظت الكثير من آياته المباركات، فكانت نبراساً لها في حياتها بعد ذلك.

أسرتها وأولادها

تزوجت المحسنة لولوه المهيني – رحمها الله – من محمد الشايجي ورزقها الله تعالى منه بابن واحد هو جاسم، ورزق جاسم بأربعة أولاد هم: عبدالمحسن وشيخة وفلوة ومنيرة.

وقد كانت لأولادها وأحفادها نعم الأم والمربية، إذ عملت على تعليمهم ما تعلمته من كتاب الله العزيز.

صفاتها وأخلاقها

تحلت المحسنة لولوه - رحمها الله – بالعديد من الصفات الطيبة والأخلاق الحسنة التي رفعت ذكرها وأعلت شأنها وعطرت سيرتها بين الناس، مصداقاً لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ" رواه أحمد في المسند.

أوجه الإحسان في حياتها

تعددت أوجه الإحسان في حياة المحسنة الكريمة لولـــوه المهينـــي – رحمهـــا الله – وشملت عدة مجالات؛ سعياً منها إلى نيل رضا الله تعالى وغفرانه، وتيقناً منها بـــأن ما عند الله باقٍ وأن أجره عظيم.

مساعدة الناس وقضاء حوائجهم

كانت – رحمها الله - محبة للناس، باذلة للخير والمعروف، ساعية إلى مـــساعدتهم وقضاء حوائجهم وتفريج كربهم، ولهذا فقد خصصت - رحمها الله - عـــدداً مـــن بيوتها لخدمة الفقراء والمساكين وذوي الحاجات، مما يدل على رقة قلبها ورهافـــة حسها ومشاعرها، وقد صدق النبي صلى الله عليه وسلم الذي قـــال: "الرَّاحِمُـــونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ" رواه أبو داود.

وقد كان هؤلاء الفقراء يسعدون بذلك ويدعون لها بسعة الرزق وطول العمر، وقـــد أخلفها الله خيراً كثيراً في الدنيا، ونسأله تعالى أن يخلف عليها في الآخرة بما فعلـــت وقدمت في سبيل الله تعالى.

مساعدة ذوي القربى والإحسان إليهم:

كانت المحسنة لولوه - رحمها الله – واصلة للرحم، محسنة إلى ذوي القربى، وليس هذا بمستغرب على امرأة حفظت القرآن العظيم، وآمنت بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَـــى أَهْلِـــكَ" رواه مسلم.

لذا كانت – رحمها الله – تعين أقاربها وتبذل لهم المال والمساعدات العينية وخاصة في مناسباتهم المهمة، فكانت تقرضهم ذهبها في أفراحهم وتعطيهم كذلك ما يحتاجون إليه من حاجات عينية ومادية من مقتنياتها وممتلكاتها، وكذلك في المناسبات الحزينة حيث كانت عوناً لهم، وفق ما ورد عنها من أخبار.

جودها وكرمها:

كما عرف عن المحسنة لولوه المهيني – رحمها الله – أنها كانت ميسورة الحال، ورثت عن أهلها خيراً كثيراً، وقد كان لها أملاك في الكويت والمملكة العربية السعودية الشقيقة منها مزارع في حفر الباطن وغيرها، وكانت جوادة كريمة معطاءة، مؤدية لحق الله تعالى في هذا المال من زكاة وصدقات وتبرعات، وكانت أعمالها كلها في سبيل الله تعالى وابتغاء مرضاته، وعملاً بقوله تعالى: "...وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ (٦٠)" سورة الأنفال.

تحفيظ القرآن الكريم:

أدركت المحسنة لولوه المهيني – رحمها الله – قيمة العلم، وأهمية ألا يكتم أهله ما آتاهم الله تعالى من فضله، وخاصة إذا ارتبط هذا العلم بالقرآن الكريم، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" رواه الترمذي.

ولذلك فقد خصصت – رحمها الله – فصلاً تعليمياً (كتّاباً) في بيتها الكائن في منطقة المرقاب بالقرب من سوق الدعيج لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه لأبناء وبنات الحي الراغبين في التعلم، وقد كانت تساعدها في هذه المهمة أختها حصة وصديقة لها تدعى أم مرشد، جعل الله تعالى هذه الأعمال في ميزان حسناتهن جميعاً.

وقد امتلأ قلب هذه المرأة الصالحة بحب تعليم القرآن الكريم فاستأجرت بيتاً آخر لتفتتح فيه مدرستها الصغيرة هذه، وذلك عندما قامت بعمل ترميمات في منزلها الذي مثّل هذه المدرسة، وحولت البيت الذي استأجرته إلى كُتّاب تعلم فيه القرآن الكريم، وظلت هكذا طوال حياتها مرتبطة بكتاب الله العزيز ومؤدية لحقه تعالى عليها.

الوقف الخيري:

يعبر الوقف عن تآخي المجتمع المسلم وترابطه وحب أبنائه للخير وعطفهم على بعضهم البعض، فيكونون في النهاية كالجسد الواحد، كما قال الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم: "الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ" رواه مسلم.

وإيماناً منها – رحمها الله – بهذه المبادئ، فقد أوقفت بيتاً لها في فريج (حي) عبداللطيف الجسار على الفقراء والمحتاجين، وجعلت الناظرة على الوقف أختها حصة، ومن بعدها ذريتها وذرية ذريتها، وقد وثق هذه الوقفية الشرعية الشيخ محمد بن عبدالله العدساني قاضي الكويت آنذاك، وجاء في شروط الوقف: "وقف على عشيات وضحايا لها ولوالديها، تعود بالأجر والثواب عليهم".

وكلنا يعلم القيمة المادية للعشيات والضحايا في ذلك الوقت، وتفصيل ذلك أنه لم يكن متيسراً للجميع.

وفاتها:

قضت المحسنة لولوه – رحمها الله – حياتها كما سبق أن أوضحنا في البذل والعطاء في سبيل الله تعالى مادياً ومعنوياً، ولم تتوقف عن العطاء حتى جاء أجلها، ولم يُعلم بالضبط تاريخ وفاتها، وإن كان من المؤكد أنه حدث في الفترة التالية لتوثيق الوقف

الخيري المسجل في السابع عشر من المحرم عام ١٣٢٧هـ الموافق لعام ١٩٠٩م، أي في الربع الأول من القرن العشرين.

نسأل الله تعالى أن يتقبل بذلها وعطاءها وأن يجزل لها الثواب وأن يسكنها الفردوس الأعلى من الجنة، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

المصادر والمراجع:

* موضي عبدالمحسن جاسم المولي (الشايجي) حفيدة المحسنة لولوه عبدالمحسن المهيني.

- الأمانة العامة للأوقاف - سجل العطاء الوقفي – ١٤١٨هـ (١٩٩٧م).

- الأمانة العامة للأوقاف – مكتب خدمة الواقفين.

- صالح محمد العجيري – تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية – الطبعة الثانية – ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٤م.

* وثقت هذه المادة حفيدتها لطيفة المولي.

محمد بن سعود الدويهيس

(١٢٨٧-١٣٣٩هـ)(١٨٧٠-١٩٢٠م)

المولد والنشأة

ولد المحسن محمد بن سعود بن دويهيس العازمي[٦٩] عام ١٢٨٧هـ الموافق لعام ١٨٧٠م، في حي الوسط في منزل والده سعود – رحمه الله – وبعد وفاة والده والتوسع العمراني في الكويت، اشترى منزلاً في فريج العوازم بمنطقة القطنة[٧٠]، مقابل مسجد عزران الدماج (هلال المطيري) بمدينة الكويت، وكان منزله من أكبر البيوت في هذا الحي ويطل أيضاً على ثلاثة طرق.

نشأ في أسرة طيبة لها تاريخها البحري فوالده سعود كان نوخذة يملك سفينة شراعية، وقد علم ابناه مبارك ومحمد التنوخذ وركوب البحر والسفر والتجارة، وكان مبارك هو الأخ الأكبر سناً والوحيد للمحسن محمد سعود الدويهيس وقد توفي مبارك في سيلان في إحدى رحلاته البحرية، ولهما أخت واحدة توفيت في منتصف عام ١٩٦٠م.

([٦٩]) الموسوعة الكويتية المختصرة – حمد محمد السعيدان – الجزء الثاني – الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.

([70]) وفق رواية ابنه العم حمود الدويهيس فإن منطقة القطنة تقع شرق البلوكات التجارية إلى البنوك في منطقة دروازة العبدرزاق.

تعليمه

التحق - رحمه الله - بكتاب الفريج (الحي) وأجاد من خلاله القراءة والكتابة، شأنه في ذلك شأن أقرانه الذين كانوا يتلقون تعليمهم الأولي بالكُتاب، قبل معرفة التعليم النظامي في الكويت.

زواجه وأسرته

تزوج محمد سعود الدويهيس - رحمه الله – طلباً للعفاف ورغبة في أن يرزقه الله تعالى بذرية طيبة نافعة، تكون قرة عين له ولزوجه وعوناً لهما في الحياة، قال تعالى:

"وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)"

سورة الفرقان.

وقد رزقه الله تعالى - من أربع زوجات – بخمسة من الذكور هم: سعود وعيد وفارس ومجبل وحمود، وهو أصغرهم سناً، فقد ولد قبل وفاة والده المحسن محمد سعود الدويهيس في معركة الجهراء بأربعين يوماً، وعمره حالياً - حفظه الله – ٨٣ سنة، وقد تشرب حب الخيرات من والده – رحمه الله - نسأل الله تعالى أن يجعله خير خلف لخير سلف.

عمله ومهنته

عمل المحسن محمد سعود الدويهيس - رحمه الله - كغالبية أقرانه في ذلك الوقت بالبحر والغوص والتجارة، التي تعلمها من والده النوخذة سعود، وهي مهن تعلم الصبر على قدر الله تعالى، وتعود الإنسان على طول النفَس والتأني، وتعتمد في

نجاحها على الاختلاط بالناس، وقد جعلته هذه المهن يكتسب الكثير من الخبرات والمعارف.

فقد بدأ – رحمه الله - عمله نوخذا على إحدى السفن الشراعية الكويتية وهي سفينة والده النوخذة سعود، وبعد وفاته كانت رحلاته تسير بحثاً عن اللؤلؤ لشهور طويلة خلال موسم الغوص على اللؤلؤ، ولما فتح الله عليه بالرزق الوفير عمل طواشاً، أي تاجر لؤلؤ[٧١]، يشتريه من سفن الغوص ثم يبيعه داخل الكويت وخارجها.

وقد وفقه الله تعالى في مهنته الجديدة وبسط عليه رزقه، إذ كان موسم اللؤلؤ مزدهراً في ذلك الوقت فنمت تجارته وتضاعفت ثروته، ولكن مع مرور الأيام واضمحلال تجارة اللؤلؤ تحول إلى تجارة المواد الغذائية، حيث كان يملك محلين للتجارة أحدهما في حي الوسط والآخر في فريج العوازم، وقد أفاء الله عليه من نعمه، وأغناه من فضله، وأصبح ذا ثروة وفيرة من خلال هذه التجارة، وذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده.

---

(٧١) الجمع طواويش وهم تجار اللؤلؤ الذين يتعقبون سفن الغوص ويشترون ما عندهم من لآلئ ويجمعونها، وطاش أي انتشر، والطواشون ينتشرون في عرض البحر بحثاً عن أصحاب سفن الغوص، (المصدر: الموسوعة الكويتية المختصرة الجزء الثاني).

صفاته وأخلاقه

تحلى المحسن محمد الدويهيس - رحمه الله - بكثير من الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة والسجايا الكريمة التي تجمع بين رجال البحر، كالكرم والشهامة والنجدة و المروءة وغيرها من الصفات الحسنة التي تعلي شأن صاحبها وترفع ذكره في الدنيا وتعظم أجره في الآخرة. ومن الصفات التي تحلى بها كذلك - رحمه الله - هدوء الطبع، وهي صفة تنفي القلق وكثرة التفكير وسرعة الغضب.

كما كان - رحمه الله - عادلاً محباً لإحقاق الحق، وأن يسود العدل بين البحارة الذين يرافقونه أو المتعاملين معه.

وقد عرف عنه – رحمه الله – أنه تميز عن أقرانه بالجد والنشاط وعلو الهمة وسعيه الدائم للكسب الحلال دون كلل أو ملل، ولذلك كان توفيق الله تعالى له حليفه في جميع أعماله، قال تعالى:

"وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) سورة التوبة.

أوجه الإحسان في حياته

زخرت حياة المحسن محمد الدويهيس – رحمه الله – بالعديد من أعمال الخير وأوجه الإحسان التي تعلمها من كتاب الله تعالى، وفاءً لفضل الله عليه وإنفاقاً من المال الذي رزقه به الله، فأدى حقه استجابة لنداء الحق القائل في كتابه العزيز:

"مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)" سورة الحديد .

الكرم والسخاء

عرف المحسن محمد الدويهيس – رحمه الله - بالكرم والسخاء، وكثرة الإنفاق في سبيل الله تعالى، فقد جعل للمساكين في ماله حظاً موفوراً، فكان لا يرد السائلين ولا يبخل على الفقراء وكان يوزع عليهم أموال الزكاة، وينفق الصدقات، عملاً بهدي نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي حث على الإنفاق وبين مكانته في حديثه الشريف قائلاً: "لا حَسَدَ إِلا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي الْحَقِّ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" رواه أحمد.

الوقف الخيري

الوقف سبيل للخير لا ينقطع ومورد للحسنات والثواب لا ينتهي، مصداقاً لقول الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُه إلا من ثلاثٍ صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ ينتفعُ به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له" رواه مسلم.

ولذلك حرص – رحمه الله – على أن يزرع شجرة الوقف التي لا يتوقف عطاؤها ولا تنقطع ثمارها بإذن الله تعالى، فأوقف ثلث ثروته على أعمال الخير ومساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين، وكذلك ضم في وصيته البيت الذي كان يسكن فيه ليكون وقفاً لله تعالى.

وقد سجل هذه الوصية الشرعية عام ١٩١٦م، أي قبل ذهابه للدفاع عن الوطن في حرب الجهراء بأربعة أعوام، وفق ما ذكره ابنه موثق هذه السيرة.

ومن خلال الوثيقة الشرعية للوقف - التي وثقها القاضي الشرعي في ذلك الوقت الشيخ محمد بن عبدالله العدساني - في الثالث عشر من جمادى الأولى عام

١٣٣٥هـ الموافق لعام ١٩١٦م، نجد أن المحسن الكريم قد ترك وصية بوقف الثلث من تركته بعد وفاته.

وقد سطر المحسن محمد الدويهيس – رحمه الله – في وصيته بالثلث الخيري الشرط الوحيد لها وهو نحر الأضاحي وتقديم العشيات للفقراء والمحتاجين في الأيام المباركة وهي جميع المناسبات الإسلامية التي يستحب فيها التقرب إلى الله بالإكثار من تقديم الطعام والصدقات كشهر رمضان المبارك والأعياد والوقوف بعرفات ويوم عاشوراء وغيرها، مما يدل على حرصه على أن يستمر جوده وكرمه بعد مماته كما كان في الحياة الدنيا، معقباً وصيته بعبارة "أن يعمل له ما يعمل الحي للميت من أضحية وعشيات بما يعود نفعه عليه بعد وفاته".

أما الأضحية فقد أمست سنة مؤكدة في الإسلام حتى قيام الساعة، يثاب عليها المضحي بعدد شعر ذبيحته، ويثاب أيضاً على دمها وجلدها وكل ما فيها، بعدما أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم – والمسلمين جميعاً من بعده - في كتابه العزيز، قال تعالى: "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)" سورة الكوثر.

وأما العشيات فهي إطعام الطعام للفقراء أيضاً في الأيام المباركة وهي المناسبات الإسلامية مما يعود بالنفع على الموصي الكريم من دعاء الفقراء له والثواب الجزيل الذي يأتيه من الله تعالى الذي وصف الأبرار بهذه الصفة في كتابه العزيز، قال تعالى: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨)" سورة الإنسان.

حبه للخير وقضاء حوائج الناس

كان - رحمه الله - محباً للخير، ساعياً له، حريصاً على فعله، عملاً بأمر الله تعالى في كتابه العزيز: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧)" سورة الحج.

وكلمة الخير أوسع من الكرم و الجود، فهي تشمل كل أوجه الخير والبر، من الإصلاح بين الناس و بسط الوجه لهم .. وقضاء حوائج ذوي الحاجات، وقد تحلى المحسن محمد الدويهيس – رحمه الله – بهذه الصفات الكريمة من خلال حبه للخير والإصلاح بين الناس والعدل والإنصاف، وذلك في حياته العادية وفي قيادته لسفينته كنوخذا (قبطان).

دوره الوطني

أخلص المحسن محمد سعود الدويهيس – رحمه الله - في حبه لوطنه الكويت التي ولد فيها وتربى على أرضها، فارتبط بترابها وأحبه حتى مات من أجله في معركة الجهراء التي وقعت في العاشر من أكتوبر عام ١٩٢٠م[٧٢]، عندما ذهب إليها مدافعاً عنها مع أهل الكويت، وقد جاء في قصته أنه ذهب إلى الجهراء بدلاً من ابنه سعود الذي تركه ليرعى إخوته وأمه، وفق ما ذكره ابنه حمود – حفظه الله.

([٧٢]) وقعت معركة الجهراء عام ١٩٢٠م، عندما حاول فيصل الدويش وأتباعه غزو الكويت من ناحية الشمال بحجة المطالبة بإصلاح الدين وتكفير الأتراك وترك شرب الدخان، ودخل الغزاة قرية الجهراء وتحصن أهلها بالقصر الأحمر بعد أن قتل منهم حوالي ١٥٠٠ شهيد، وعندما وصل الخبر للمدينة فزع أهل الكويت فزعة رجل واحد وحضروا بواسطة السفن وأسقط في يد الغزاة الذين انسحبوا بعد أن تكبدوا ألفي قتيل، وقد دامت المعركة حوالي عشرة أيام.

شهادته في سبيل الله

بعد هذه الحياة الكريمة التي قضاها المحسن محمد بن سعود الدويهيس في سبيل الله تعالى بعمل الخير والإصلاح، وتركه وصية بوقف خيري، قام بتوزيع نصيب أولاده عليهم وعلى زوجاته؛ وذلك حفظاً لحقوقهم وخوفاً عليهم من الخلاف، وبعد أن أعطى كل ذي حق حقه، بذل حياته في سبيل الله تعالى وفي سبيل الوطن، عندما استشهد في حرب الجهراء عام ١٣٣٩هـ الموافق لعام ١٩٢٠م، ودفن مع عدد من شهداء حرب الجهراء، في صيهد فضيحة بمنطقة البريج على ساحل البحر المقابل لساحل كاظمة (الخويسات)

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ذريته الطيبة

مصداقاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوا له" رواه مسلم، رزق الله تعالى المحسن محمد الدويهيس – رحمه الله – بالذرية الطيبة التي حرصت على الاستمرار في عمل الخيرات، وقد أنشأ ابنه حمود الدويهيس سبيل ماء خلف مسجد بن فارس بمنطقة السوق، بنية أن يعود أجره على والده – رحمه الله.

المصادر والمراجع:

* مقابلة مع العم حمود محمد سعود الدويهيس ابن المحسن المرحوم محمد سعود الدويهيس.

- الأمانة العامة للأوقاف – سجل العطـــاء الـــوقفي – الكويـــت ١٤١٨هـــ (١٩٩٧م).
- الأمانة العامة للأوقاف – مكتب خدمة الواقفين.
- صالح محمد العجيري – تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية – الطبعة الثانية – ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٤م.

* وثق هذه المادة حفيده أحمد حمود محمد الدويهيس.

السيد مهنا عبدالرحمن مهنا المهنا

(١٣٢٠ – ١٤١٢هـ) (١٩٠٠ – ١٩٩١م)

المولد والنشأة:

هو مهنا بن عبدالرحمن بن مهنا المهنا، المولود في مدينة الكويت عام ١٣٢٠ هـــ الموافق لعام ١٩٠٠م. وقد نشأ - رحمه الله - في أسرة طيبة متدينة جاءت من نجـد بالمملكة العربية السعودية الشقيقة، حيث تمتد أصولها إلى قبيلة العجمي فـي قريـة تدعى "حزماء" بالقرب من مدينة الرياض.

تعليمه:

تلقى المحسن مهنا المهنا- رحمه الله - تعليمه الأولي في الكُتّاب، الذي تعلـم فيـه القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب، وقد نشأ نشأة دينيـة مميـزة، مـن أبـرز مظاهرها، أنه كان من المترددين على مجلس العالم الفاضل الشيخ عبدالله الخلـف الدحيان - رحمه الله - الذي كان عامراً بالعلم والتدريس والوعظ والإرشاد في شتى

العلوم، وكان مجمعاً لطلبة العلم في الكويت.[٧٣] ولذلك فقد أحبه المرحوم مهنا حباً شديداً، فكان من المواظبين على حضور مجلسه العامر لينهل من معين علمه الغزير، وقد كان لذلك بالغ الأثر في حياته العملية فيما بعد.

صفاته وأخلاقه:

رزق الله تعالى المحسن مهنا المهنا مهارات عقلية كالفطنة وقوة الذاكرة، فكان يحفظ التواريخ والأحداث والمواقف ويرويها بكل دقة، وقد كان أيضاً متحدثاً بارعاً.

كان - رحمه الله - رجلاً متديناً، ملتزماً بأوامر الله تعالى ومنتهياً عن نواهيه، وقد عرف عنه تردده على المساجد وفعله للخير في سبيل الله تعالى.

وكان محباً للعلم والعلماء حريصاً على الاغتراف من معين الإيمان الطاهر والتزود بزاد التقوى الوافر، استجابة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" رواه البخاري.

كما كان حريصاً على أن يكون له موضع في حلقات العلم ومجالس الذكر، رغم عمله في مجال التجارة الذي استنفذ كثيراً من وقته وجهده.

وهو في هذا كان سالكاً سبيل الصالحين الطالبين للعلم النافع، الذين قال عنهم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ" رواه الترمذي، وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وقد كان - رحمه الله - ذا علاقات طيبة مع إخوانه وأهله وجيرانه، يتعاون معهم على البر والتقوى وفعل الخيرات، فكان يلتقي بهم يومياً في ديوانه، ويتردد أيضاً على

([1]) لقراءة سيرة مفصلة عن الشيخ عبدالله الخلف الدحيان راجع الجزء الأول من سلسلة: "**محسنون من بلدي**" ص ٧٣.

دواوينهم، ومنها ديوان الوزان والمعجل والشايع والعصيمي ودواوين أخرى كثيرة، مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الْمُؤْمِنُ مُؤْلَفٌ، وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ " رواه أحمد في المسند.

تجارته :

عاش المحسن مهنا عبدالرحمن المهنا - رحمه الله - في بيئة تجارية بطبيعتها، حيث إن مناخ الكويت وموقعها الجغرافي، لا سيما في أوائل القرن الماضي جعلاها منطقة مزدهرة بالتجارة، وخاصة تلك المرتبطة بالبحر، حيث سفن الكويت التي كانت تجوب البحار والمحيطات محملة بكافة أنواع البضائع.

وكانت تجارة التمور من التجارات الرائدة آنذاك، لكونه وجبة غذائية متكاملة، وزهيدة الثمن، فاختار المحسن مهنا عبدالرحمن المهنا – رحمه الله - التمور مجالاً لتجارته، فبارك الله له فيها ونمت تجارته وأصبح من كبار التجار، وتحقق له وعد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بالبركة في بيته وماله وأولاده، قال صلى الله عليه وسلم: " إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ ..." رواه الترمذي.

وكان - رحمه الله - يزاول مهنته هذه في السوق القريب من السوق الداخلي بمدينة الكويت. كما أتاح له العمل في هذه التجارة فرصة السفر كثيراً خارج البلاد بائعاً أو مشترياً، فسافر عدة مرات في بداية حياته التجارية مع مجموعة من التجار الكويتيين، وقد كان لذلك بالغ الأثر في منحه خبرة كبيرة ودراية واسعة بكل ما هو جديد في عالم التجارة والأسواق الخارجية، وقد استمرت هذه السفرات بدون انقطاع حتى موت أخيه الأكبر عبدالله - رحمه الله - عام ١٩٥٦م.

زواجه:

حث الإسلام على الزواج، فبه يُحصن الشباب، وبثمراته تعمر الأوطان، وقد شجع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على التناكح والتناسل، قائلا: "انْكِحُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ" أخرجه ابن ماجه.

وقد تزوج الشاب مهنا عبدالرحمن المهنا لما بلغ سن الشباب من ابنة خاله، وكان يوماً سعيداً بمباركة الأهل والأحباب والأصدقاء، وقد رزقه الله تعالى من هذا الزواج ذرية طيبة مباركة: ولدين هما إبراهيم وأحمد، وأربع بنات.

أوجه الإحسان في حياته:

الإحسان سمة من سمات المسلمين المخلصين، وخصلة من خصال المؤمنين الصادقين، والبخل والشح مذمومين في الإسلام وقد بين لنا القرآن الكريم أن من يبخل فإنما يبخل عن نفسه، وقد حض الله المؤمنين على الإنفاق، وذكره بعد الإيمان بالله ورسوله، وبين أنهم ليسوا الذين يملكون هذا المال، إنما هم مستخلفون عليه فحسب، فالمال مال الله تعالى القائل في كتابه العزيز:

{ . . . وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) } سورة الحديد .

ولذلك فقد تعددت أوجه الإحسان في حياة المحسن مهنا عبدالرحمن المهنا - رحمه الله - حرصاً منه على أن ينال رضى الله تعالى في الدنيا والآخرة، وفيما يلي ما عرفناه عن أوجه إحسانه – رحمه الله – وقدم له بكلمة مهمة في هذا السياق.

كلمة حق

لقد شاء الله تعالى أن يكون الأخوان عبدالله عبدالرحمن المهنا ومهنا عبدالرحمن المهنا (المُترجم له) – رحمهما الله – من أهل الخير ومحبيه، وقد كانت الأعمال الخيرية الوارد ذكرها في هذه الترجمة مشاركة بين أموال المحسن مهنا وثلث أخيه عبدالله

الذي كان له في حياته نعم الأخ المخلص، فكانا متحابين في حياتهما ، ينفقان معا مما أفاء الله عليهما من نعمه.

وبعد وفاة الأخ الأكبر عبدالله تولى أخوه المحسن مهنا الإنفاق في سبيل الله تعالى، محتسباً الأجر والثواب لأخيه الذي أوصاه بثلث ماله لمشاركته في هذه الأعمال الخيرية، ومن الجدير بالذكر أن المرحوم عبدالله قد ولد في الكويت عام ١٣٨٨هـ وكان مسؤولاً عن التجارة بالكويت حين كان أخوه مهنا يسافر في رحلات تجارية إلى الهند، فكانا مثالاً للإخوة المتحابين في الله تعالى المتعاونين فيما بينهما، وقد وكَّل كل منهما أخاه على أولاده وعلى ثلثه بعد وفاته.

عمارة المساجد :

بناء المساجد عمل خيري عظيم القدر، جليل الشأن، كثير الثواب، دائم الأجر، يحرص عليه أهل الخير والإحسان في كل زمان ومكان. والمساجد محاضن الرجال، ومصانع الإيمان، ومعامل التقوى والزهد والورع .. فيها يلتقي مسلمون شتى من بقاع شتى بلغات شتى وألوان شتى، يعبدون رباً واحداً ويقرؤون كتاباً واحداً ويتبعون رسولاً واحداً، ويتجهون إلى قبلة واحدة، قال تعالى:

"وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)" سورة البينة.

ولذلك كله قام المحسن الكريم مهنا المهنا - رحمه الله - ببناء ثلاثة مساجد في الكويت، ما بين عام ١٩٥٩م عام ١٩٨٧م، وقد جرى إنشاؤها جميعاً من ماله ومن تلث أخيه المرحوم عبدالله المهنا، وهي كما يلي:

مسجد المهنا بمنطقة النقرة:

أتم المحسن مهنا عبدالرحمن المهنا إنشاء هذا المسجد المبارك في وقت مبكر، ولعله كان من أوائل المساجد التي بنيت في منطقة النقرة بمحافظة حولي في دولة الكويت، وذلك في النصف الثاني من القرن الماضي، وقد شاركه في الإنفاق على هذا المسجد أخوه عبدالله المهنا.

وبحمد الله رفُعت قواعد هذا البيت ووُضع أساسه في عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م)، ولما اكتمل البناء، توجهت إليه أفئدة المؤمنين، وتوجهت صوبه أنظار العابدين، وسارت إليه أقدام الراكعين الساجدين بالتقوى والإخلاص لله تعالى رب العالمين، القائل في كتابه المبين:

{ . . . وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) } سورة الأعراف

المواصفات العامة للمسجد:

- المساحة الكلية للمسجد ٧٥٠ متراً مربعاً.
- يتسع مصلى الرجال لعدد ٥٠٠ مصلٍّ .
- ارتفاع المئذنة ١٧ متراً.
- بني المسجد على الطراز العادي القديم.

مسجد المهنا بمنطقة مشرف:

أهل الخير يسعون دائماً إلى الزيادة في العطاء، طمعاً فيما وعدهم الله بـــه مـــن خيـــر الثواب، ولهذا لم يكتف المحسن مهنا عبدالرحمن المهنا - رحمه الله - بأن يبنـــي بيتـــاً واحداً لله تعالى، ولم يقنع ببيت واحد في الجنة، وهذا هو شـــأن ذوي الهمـــة العاليـــة والإرادة السامية، الذين خاطبهم الشاعر بقوله:

إذا ما كنت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

وعندما علم المحسن مهنا عبدالرحمن المهنا - رحمه الله - بحاجة منطقة مشرف إلـــى مسجد يذكر فيه اسم الله تعالى، وقع اختياره على القطعة الخامسة، التي أقام بها مسجداً - لا يزال يحمل اسمه إلى الآن - هو مسجد المهنا، الذي قام - رحمه الله - بتأسيـــسه عام ١٤٠٠هـــ (١٩٧٩م).

مسجد المهنا على الطريق الدائري الرابع (قرب المسلخ):

كان المحسن مهنا عبدالرحمن المهنا حريصا على أن يضع بذرة الخير في كل تربـــة صالحة، وكان أشد حرصا على أن يتعهدها بالسقاية والرعاية، حتى تمتـــد جـــذورها وتظهر ثمارها، ويعم خيرها أكبر قدر من المسلمين في كل مكان إن شاء الله.

وقد لاحظ أن المنطقة المقابلة للمشاتل (منطقة الشويخ الصناعية) في محاذاة الطريـــق الدائري الرابع في حاجة إلى مسجد، لا سيما وأنها منطقة صناعية والعمال والموظفون بها يتوقون إلى بيت لله تعالى تسكن إليه نفوسهم ويؤدون فيه الصلوات ويأوون فيه إلى ظل الرحمن المنان سبحانه وتعالى.

وقد لاقت أمنيتهم هذه استجابة من الله تعالى، فجعل المحسن مهنا المهنـــا ســـبباً لهـــذا البناء، فبادر - رحمه الله - عام ١٤٠٨هـــ (١٩٨٧م) إلى المسارعة بتحمل نفقات بناء هذا المسجد، وفاز - إن شاء الله - بوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فـــي حديثـــه الشريف: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ" رواه مسلم في صحيحه.

المواصفات العامة للمسجد:

- المساحة الكلية للمسجد ١٠٠٠ متراً مربعاً.
- مساحة مصلى النساء ١٠٠ متراً مربعاً.
- يتسع مصلى الرجال لعدد ٧٠٠ مصلٍّ ، ومصلى النساء يسع ٦٠ مصلية.
- ارتفاع المئذنة ٢٥ متراً.
- بُني المسجد على الطراز العادي الحديث.

جوده وسخاؤه:

لم يشأ المحسن مهنا عبدالرحمن المهنا - رحمه الله - أن يقتصر جوده ويتوقف عطاؤه عند بناء المساجد فحسب، رغم ما لها من فضل عظيم وثواب جزيل، بل أراد أن يتوسع في أعمال الخير ويطرق كل أبواب البر، فتبرع وتصدق بما تيسر له من مال، للفقراء والمساكين والمحتاجين.

ليس هذا فحسب بل أراد أن يترك أثراً في قوافل الخير أينما توجهت، وأن يحث الآخرين على عمل الخير وأن يدفعهم إليه، فساهم - رحمه الله - في جمع الصدقات والتبرعات من الشركات والأفراد وأهل الخير، وذلك مع مجموعة من أصحابه، الذين كان يتولى معهم توزيعها على المستحقين والمحتاجين، دون الإعلان عن هويتهم، رغبة منهم فيما عند الله تعالى من خير عميم، قال تعالى في كتابه الكريم:

" مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٩٦)"

سورة النحل

موائد الإفطار:

رمضان شهر البر والخيرات، والبذل والصدقات، وهو فرصة يحرص كل مسلم على اغتنامها في فعل الخيرات، سواء في العبادات وقراءة القرآن الكريم أو منح الصدقات والعطايا في سبيل الله تعالى، وغيرها من أوجه الخير، ومن أهم ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر الكريم إفطار الصائمين: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا" أخرجه ابن ماجه.

ولذلك كان المحسن مهنا عبدالرحمن المهنا - رحمه الله - حريصاً على تجهيز موائد الإفطار في مساجده الثلاثة في شهر رمضان الكريم، وكان يسعد برؤية إخوانه الصائمين من جنسيات شتى وأماكن عدة، وهم يتناولون الإفطار على مائدة الرحمن التي يعدها لهم على نفته الخاصة، التي هي من فيض المنان وعطاء الكريم الجواد، متوجهاً له بالشكر والثناء على سابغ عطائه وعظيم فضله، ذاكراً قوله تعالى:

"وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)" سورة إبراهيم.

وفاته :

الموت نهاية محتومة لكل حي، لا مفر منها ولا مهرب، والفناء مصير كل ما يدب على هذه الأرض أو يطير في السماء أو يسبح في الماء. قال تعالى:

"كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)" سورة الرحمن

وبعد حياة حافلة بالجود والعطاء والكرم والسخاء، امتدت نحو ٩١ عاماً، لقي المحسن مهنا عبدالرحمن المهنا وجه ربه الكريم، في الرابع عشر من شهر رمضان المبـــارك عام ١٤١١هـــ، الموافق للتاسع والعشرين من شهر مارس عام ١٩٩١م.

نسأل الله تعالى أن يرحمه رحمة واسعة، ويتقبل صالح أعماله، ويسكنه واسع جناتـــه، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحـــسن أولئـــك رفيقاً.

المصادر والمراجع

* مقابلة مع السيد إبراهيم مهنا عبدالرحمن المهنا ابن المحسن مهنا المهنـــا - رحمه الله.

- صالح محمد العجيري – تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية – الطبعة الثانية – ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٤م.

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطـــاع المـــساجد – إدارة الـــشؤون الهندسية.

* وثق هذه المادة ابنه إبراهيم مهنا عبدالرحمن المهنا.

- **المصادر والمراجع**

- **أولاً: الكتب:**

- أحمد البشر الرومي - ديوان صقر الشبيب: شاعر الكويت – مكتبة الأمل - الكويت.
- د. أحمد مصطفى أبو حاكمة – تاريخ الكويت الحديث – الطبعة الأولى – دولة الكويت ١٩٨٤م.
- الأمانة العامة للأوقاف - تاريخ دائرة الأوقاف العامة من ١٣٦٨هـ إلى ١٣٧٧هـ - وزارة الأوقاف العامة – إعادة طباعة وتصوير– الكويت ١٩٩٥م.
- الأمانة العامة للأوقاف - سجل العطاء الوقفي – ١٤١٨هـ (١٩٩٧م).
- الأمانة العامة للأوقاف – كتيب مساجد جنوب السرة والسيرة الذاتية لواقفيها – الإصدار الأول – الكويت ٢٠٠٢/٢٠٠٣م.
- بيت الزكاة – سلسلة محسنون من بلدي – الجزء الأول والثاني - الكويت ١٩٩٨م /٢٠٠٠م.
- حمد محمد السعيدان – الموسوعة الكويتية المختصرة – ثلاثة أجزاء – الطبعة الثالثة – مطبعة الحكومة - الكويت ١٩٩٣م.

- سيف مرزوق الشملان – تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي – الجزءان الأول والثاني – مطبعة الحكومة – الكويت ١٩٧٨م.
- سيف مرزوق الشملان – من تاريخ الكويت – الطبعة الثانية - ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٦م.
- شجرة نسب قبيلة عنزة - التي تم التصديق عليها من الشيخ عروة بن هذال عام ١٨٩٣م.
- صالح محمد العجيري – تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية – الطبعة الثانية – ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٤م.
- عادل محمد العبدالمغني – نواخذة الغوص والسفر في الكويت – الطبعة الأولى – الكويت ١٩٩٩م.
- عبدالله محمد عبدالعزيز الجزاليني - تاريخ الأفلاج وحضارتها – الطبعة الأولى – الرياض ١٤١٣هـ (١٩٩٢م).
- الشيخ عبدالعزيز الرشيد – تاريخ الكويت – الطبعة الثانية – دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٧١م.
- د.عبدالمحسن عبدالله الخرافي – النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان .. ريادة عائلة وتميز إنسان – الطبعة الأولى – المؤلف – الكويت ٢٠٠٣م.
- د.عبدالمحسن عبدالله الخرافي – عائلة العثمان .. مدرسة السفر الشراعي في الكويت – الطبعة الأولى – المؤلف – الكويت ٢٠٠٣م
- د. عبدالمحسن عبدالله الخرافي – موسوعة مربون من بلدي – الطبعة الأولى المؤلف – الكويت ١٩٩٨م.
- عدنان سالم الرومي - علماء الكويت وأعلامها– الطبعة الأولى - مكتبة المنار - الكويت ١٩٩٩م.

- عدنان سالم الرومي – تاريخ الكويت القديمة - الكويت ٢٠٠٢م.
- عدنان سالم الرومي – تاريخ مساجد الديرة القديمة – الطبعة الأولى – المؤلف - الكويت ١٩٨٨م.
- عدنان سالم الرومي - علماء الكويت وأعلامها– الطبعة الأولى - مكتبة المنار - الكويت ١٩٩٩م.
- عثمان بن بشر - عنوان المجد في تاريخ نجد - مكتبة الرياض الحديثة – الرياض - د.ت.
- أ.د. عماد محمد العتيقي - شجرة العتيقي - مراجعة العم عبدالرحمن سالم العتيقي - الكويت١٩٩٩م
- أ.د. عماد محمد العتيقي - علماء العتيقي في ثلاثة قرون – الدارة - الكويت ١٤٢٠هـ.
- من رسالة الشيخ مبارك الصباح إلى المعتمد البريطاني – مذكرة حول النظام السياسي لدولة الكويت – من إعداد مركز البحوث والدراسات الكويتية.
- الشيخ يوسف بن عيسى القناعي - صفحات من تاريخ الكويت – الطبعة الخامسة – شركة ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٧م.
- د. يعقوب يوسف الحجي - نواخذة السفر الشراعي في الكويت – الطبعة الثانية – شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت ١٩٩٣م.
- د. يعقوب يوسف الحجي – صناعة السفن الشراعية في الكويت – الطبعة الرابعة – مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠١م

ثانياً: الدوريات:

- بيت الزكاة - مجلة العطاء – الكويت.
- جريدة القبس - العدد ٣٥٩٣ - الكويت ١٩٨٢/٥/١٤.

- جريدة الوطن - مقال بعنوان "رحيل الكبار عن أهل الديار" - الأستاذ عصام عبداللطيف الفليج - الكويت ١٩٩٧/١١/١٦م.

ثالثاً: الكتب والمراجع الدينية:

رابعاً:الجمعيات الخيرية والهيئات:

- الأمانة العامة للأوقاف – مكتب خدمة الواقفين.
- بيت الزكاة – الكويت – إدارة النشاط الخارجي.
- الشؤون الهندسية بإدارة المساجد – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- لجنة مسلمي إفريقيا (جمعية العون المباشر حالياً).
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطاع المساجد – إدارة الشؤون الهندسية.

خامساً: المصادر الشخصية:

- السيد عدنان سالم الرومي من أحفاد المحسن بشر بن يوسف الرومي – رحمه الله.
- السيد منذر خضير عبدالله الشهاب، ابن المحسن خضير الشهاب – رحمه الله.
- الأستاذة وسمية راشد العلبان ابنة المحسن راشد سعد ساير العلبان – رحمه الله.

- الساده عبدالعزيز وفيصل وغازي سعود الفليج، أبناء المرحوم الحاج سعود عبدالعزيز الفليج – رحمه الله.
- السيد حامد صالح عبداللطيف العثمان حفيد المحسن عبداللطيف سليمان العثمان – رحمه الله.
- السيد فريح عبدالله فريح الفدا ابن المحسن عبدالله الفدا – رحمه الله.
- السيد طارق بدر محمد الميلم، ابن أخي المحسنة فاطمة محمد عبدالعزيز فهد الميلم –رحمها الله
- لطيفة المولي حفيدة المحسنة لولوه عبدالمحسن المهيني – رحمها الله.
- السيد حمود محمد سعود الدويهيس ابن المحسن المرحوم محمد سعود الدويهيس.
- السيد إبراهيم مهنا عبدالرحمن المهنا ابن المحسن مهنا المهنا.

تم بحمد الله